يهودي مالطا

للكاتب المسرحي كرستوفر مارلو

ترجمها إلى اللغة العربية

عمر عثمان جبق

يهودي مالطا

للمسرحي البريطاني كريستوفر مارلو (١٥٦٤-١٥٩٣)

<u>شخصيات المسرحية</u>

فيرنيز: حاكم مالطا

لودوفيك: ابنه

سليم كاليماث: ابن الإقطاعي الكبير

مارتن ديل بوسكو: نائب أدميرال أسبانيا

ماتياس: رجل نبيل

كاثرين:أمّ ماتياس

جاكومو: راهب

بارناردين: راهب

رئيسة الدير "الأمّ"

راهبة

باراباس:يهودي ثريّ

أبيغيل: ابنة باراباس

إيثامور: خادم باراباس

بيلاميرا: مومس

بيليابورزا:قوّاد متسلّط و مرافق بيلاميرا

تاجران

ثلاثةتجّار يهود

فرسان و باشاوات و ضبّاط و حرس و خدم و رسول و نجارون

مكيافيلليمقدّم خطبة المسرحية

يدخل مكيافيللي

مكيافيللي: مع أنّ العالم يعتقد أنّ مكيافيللي ميتاً، إلا أنّ روحه حلّقت إلى ما وراء جبال الألب، و الآن جاء "دوق غايز" الميت من فرنسا ليرى هذه الأرض و يلهو مع أصدقاءه. لعلّ اسمي مؤذٍ للبعض و لكن أولائك الذين يحبونني و يحمونني من ألسنتهم، ليعلموا أنني مكيافيللي الذي لا يُلقي وزناً للرجال و لا لكلماتهم، و أكثر معجبيّ هم أشدّهم لي كرهاً؛ بالرغم من أن البعض ينتقد كتبي على الملأ إلا أنّهم عندما يقرؤونها يعتلون كرسي بطرس و عندما يُقصونني فإنّ أتباعي الصاعدين سيسممونهم. و أنا أحسب الدين لعبة أطفال، و أعتقد أيضاً ألا وجود للخطيئة بل هناك جهل. العصفورة الصغيرة ستبوح بالجرائم الماضية! يخجلني أن أسمع مثل هذه السخافات. سيتكلّم الكثير عن استحقاق تاج المُلك، و لكن أي حق كان لقيصر في الإمبراطورية؟ القوّة هي من صنعت الملوك بادئ الأمر، فالقوانين و كما قال المشرّع اليوناني "دراكو" لم تُكتب بالحبر بل كُتبت بالدّم. و من هنا فإنّ القلعة ذات البنيان القويّ تأمر أكثر بكثير مما يمكن للكلمات أن تنقل. و أي حكمة راعاها "فالاريس" أخرجها ثور شجاع و هي حسد العظماء من قبل الناس التافهين و الفقراء، يجدر لي أن أحدّد على أن يُشفق عليّ. لكن بأيّة واحدة أنا مقيّد؟ فأنا لم آت إلى هنا - إلى بريطانيا - لأحاضر بكم و لكن لأقدّم إليكم مأساة رجل يهودي يبتسم عندما يرى كم هي مليئة أكياسه بالمال الذي كسبه بوسيلتي، و هذا ما أصبو إليه، أن أشرّفه حق التشريف لأنّه يستحق ذلك و أسلّيه أفضل تسلية لأنّه يفضّلني و يحبّني.

(يخرج)

الفصل الأوّل

باراباس موجود في غرفة حساباته و أمامه كومات كثيرة من الذهب

باراباس: كسبتُ الكثير من عائدات هذه الأموال و ثلث السفن الفارسيّة و كان هناك المشروع المربح و المقنع. أمّا بالنسبة لأولئك "السامينتيين" و رجال "أوز" الذين أحضروا الزيوت الإسبانية و الخمور اليونانية فقد حزمتُ نقودهم الفضيّة التافهة. بأّ ! كم هو مزعج عدّ هذه التفاهة! العرب يبلون بلاءً حسناً إذ يدفعون بسخاء قطعة ذهب مقابل الأشياء التي يهرّبونها، مما يمكن للمرء أن يعدّه في اليوم بسهولة و هذا قد يستغرق جمعه كل حياته. و قد يستطيع أن يصنع العروس المحتاج الذي لم يمسك بَ الشوفان المطحون قط معجزة بمثل هذه القطعة، و لكن بالنسبة لمن خزائنه المحصّنة بالفولاذ و المليئة بالمال قضى حياته كلّها تعباً و أصابعه كلّت من عدّ المال سيكره أن يتعب في هذا السن و يعرق حتى الموت من أجل جنيهٍ واحد. أعطوني تجّار المناجم الهنود الذين يتاجرون بمعدن من أنقى القوالب و أعطوني المغربي (العربي) الثري الذي يجمع ثرواته من الصخور الشرقية دون رقابة، و يكدّس في بيته اللآليء كالحصى، فهو يحصل عليهم مجاناً و يبيعهم بالوزن و المكيال: أكياس من الأحجار الكريمة المتوهّجة و الياقوت الأزرق و الأرجواني و الأحمر و أحجار التوباز القاسي والزمرّد الأخضر و الياقوت الخلاّب و الماس الوهّاج، نادراً ما تُرى، و أحجار ثمينة ذات سعر عال جداً و إذا ما ُ ّرت إحداها بقيراط واحد من هذه النوعيّة بحرص شديد قد تفيد في وقت الشدّة بفدية ملوك عظام من الأسر. من هذه الأشياء تتكوّن ثروتي و لذلك أعتقد أنه ينبغي على الحكماء أن يحددوا وسائل تهريبها من التجارة السوقية - و بازدياد ثرواتهم - يحفظوا ثرواتهم غير المحدودة في غرفة صغيرة. و لكن ما هي الأخبار الآن؟ و في أي اتجاه يحلّق طائر صيّاد السمك؟ هه! إلى الشرق؟ أجل انظر كيف تقف أجنحته – الشرق الجنوبي أتمنى أن تكون سفني التي أرسلتُها إلى مصر و الجزر الحدودية قد رست على ضفاف النيل الملتفة، و آمل أن يكون أسطولي القادم من الإسكندرية المحمّل بالتوابل و الحرير قد مرّ بيسر من سواحل كاندي إلى مالطا عبر بحرنا الأبيض المتوسط و لكن من ذا القادم إلى هنا؟

يدخل أحد التّجار

ما الأمر؟

التاجر: باراباس، سفنك سليمة في الطريق إلى مالطا، و كلّ التجار و البضائع وصلوا بسلام، و قد أرسلوني لمعرفة ما إذا كنت ستأتي و تخلّصهم من الجمارك.

باراباس: هل قلت إن السفن سليمة و ممتلئة؟

التاجر: نعم هي كذلك؟

باراباس: إذن اذهب و اطلب إليهم أن يأتوا إلى المرفأ و يحضروا معهم فواتير الدخول. آمل أن تفيدنا سمعتي عند الجمارك كما لو كنت موجوداً هناك. اذهب و أرسل إليهم ستين جملاً و ثلاثين بغلاً و عشرين عربة كي يحضروا البضاعة. و لكن ألست مسئولاً عن إحدى سفني؟ أو ليس اسمك كافياً لذلك الغرض؟

التاجر: لّ ما تأتي ضريبة الجمارك العادية لأكثر مما يملكه كثير من تجار المدينة، و لذلك فهي تفوق اسمي بكثير يا سيدي.

باراباس: اذهب و قل لهم إن***يهوديّ مالطا*** أرسلني، هيا يا رجل،ياً ، من منهم لا يعرف باراباس؟

التاجر: أنا ذاهب.

باراباس:حسنٌ ، إذا طرأ أمر ما٠٠٠٠ أية سفينة من سفني أنت مسئول عنها يا غلام؟

التاجر: سفينة "سبيرانزا" يا سيدي.

باراباس: ألم ترَ أسطولي التجاري في الإسكندرية؟ لم تستطع أن تأتِ من مصر أو القاهرة، و لكن عندمصبّ النيل في البحر تجنّب الإبحار بالقرب من الإسكندرية.

التاجر: لم أرهم و لم أسأل عنهم، و لكنني سمعت بعض بحارّتنا يقولون إنّهمتعجّبوا كيف تجرّأتَ و ائتمنتَ هذا الأسطول الأخرق على ثروة طائلة، و حتى الآن.

باراباس: بّاً **!** أهم حكماء؟ أعرفُ الأسطول جيداً و أعرفُ قوته و لكن اذهب، اذهب في طريقك و أفرغ سفينتك و اطلب من وكيلي التجاري أن يأتي بحمولته إلى هنا.

(يخرج التاجر)

و لكنني لا أزال أتعجّب من هذا الأسطول.

يدخل تاجر ثاني

التاجر الثاني: اعلم يا باراباس أن أسطولك من الإسكندرية قد وصل إلى مالطا محمّلاً بالثروات و كميات زائدة من الحرير الفارسي و الذهب و اللؤلؤ الشرقي.

باراباس: كيف حدث و لم تأتِ مع السفن الأخرى التي أبحرت من مصر؟

التاجر الثاني: لم نرهم يا سيدي.

باراباس: من المرجّح أنهم جابوا سواحل كاندي من أجل الزيوت و المنتجات الأخرى.و لكنّك لم تقم بعملك كما ينبغي حيث قطعت كل هذه المسافة بدون مساعدة أو ترتيب من سفنهم.

التاجر الثاني: سيدي لقد مرّ علينا أسطول اسباني و رمانا في الهواء و لم يفارقنا حتى أصبحنا على بعد فرسخ منه و كان يطارد قوارب تجديف تركيّة.

باراباس: أوه، كانوا يقصدون صقلية.حسنٌ، اذهب و اطلب إلى التجار و أتباعي أن ينصرفوا و تعال إلى المرفأ واحضرْ تفريغ الحمولة.

التاجر الثاني: أنا ذاهب.

(يخرج)

باراباس: و هكذا تأتي ثروتنا براً و بحراً و هكذا يصيبنا الغنى من كلّ جانب. هذه هي نِعَمُ اليهود الموعودة و هنا كانت تكمن سعادة إبراهيم الخليل. ما الذي يمكن للسماء أن تقدّمه إلى الرجال الدنيويين أكثر من أن تصبّ الكثير في أحضنلهم بشقّ أحشاء المعمورة من أجلهم و جعل البحار عبيدهم و أمر الرياح لتحمل بضاعتهم بهبّات ناجحة؟ من ذا الذي يكرهني إلا لأني سعيدٌ؟ و من ذا الذي يُبجَّل إلا لثروته. أفضل لي و أنا يهوديّ أن يكرهني الناس على أن يشفقوا عليّ وأنا مسيحي فقير، لأنني لا أرى أيّ ثمار في عقيدتهم كلها إلا الخبث و الغش و الغرور الزائد الذي برأي لا يناسب ادّعاءهم. ربما يمتلك امرؤ منحوس ضميراً و يعيش بسبب هذا الضمير في تسوّل. يقولون عنّا إننا أمّة مبعثرة: لا يسعني الحكم و لكننا جمعنا حتى الآن ثروة أكثر من أولائك الذين يتفاخرون بالإيمان. فهناك "كيريا جيريم"يهوديّ كبير في اليونان و "أوبيد" في بيرسيث و "نونز" في البرتغال و أنا في مالطا و البعض الآخر في ايطاليا و العديد في فرنسا، و كلّمنهم ثريّ،نعم ثريّ، و أثرى من أيّ مسيحي. علي أن أعترف بأننا لسنا ملوكاً و هذا ليس خطأنا: و أسفاه عددنا قليل! و تيجان المُلك لا تأتي إلا بالوراثة أوبالقوّة، و لم أسمع عن شيء قسريّ يمكن أن يدوم.أعطونا حكماً بسلام و اجعلوا المسيحيين ملوكاً ، فذلك العطش هو من أجل المُلك. ليس لديّ أيّة مسئولية و لا أولاد كثر إلا ابنتي الوحيدة التي أعتبرها غالية جداً على قلبي كما كانت "إيفيجن" بالنسبة "لأغاميمنون". و كلّ ما عندي هو لها. و لكن من القادم إلى هنا؟

يدخل ثلاثة يهود

اليهودي الأوّل: تباً، لا تقل لي إلّا ما تمّ كان بدافع السياسة.

اليهودي الثاني: تعال إذن لنذهب إلى باراباس لأنّه أفضل ناصح في هذه الأمور. ها هو ذا قادم.

باراباس: ما الأمر يا أصحاب! لماذا تأتون إليّ بأعداد غفيرة؟ أيّة مصيبة حلّت باليهود؟

اليهودي الأوّل: لقد جاء أسطول من القوارب المحاربة من تركيا يا باراباس، وقطعوا طريقنا، و هم الآن جالسون في بيت المجلس حيث يستضيفونهم مع سفيرهم.

باراباس: لماذا؟ فليأتوا فهم لم يأتوا للقتال، أو لئن قاتلوا نصبح نحن (اليهود) الفائزين— كلا ليقاتلوا و يغزوا و يقتلوا الجميع، و يعفوا عنّي و عن ابنتي و ثروتي. **(انباً)**

اليهودي الأوّل: لو كان الأمر لتأكيد تحالف لما جاؤوا على هيئة الحرب تلك.

اليهودي الثاني: أخشى أن قدومهم سيصيبنا جميعاً .

باراباس: أيها الحمقى! أيّ حلم يراودكم عن جموعهم؟ ما حاجتهم للسلام و هم متحدون؟ الأتراك و سكان مالطا متحالفون:تباً، تباً هناك شيء آخر في هذا الأمر.

اليهودي الأوّل: ما رأيك يا باراباس هل جاؤوا من أجل السلام أم الحرب؟

باراباس: ربما لا هذا ولا ذاك بل ليمرّوا باتجاه البندقية بالقرب من بحر الأدرياتي فقد حاولوا معها مراراً لكنهم لم يتمكنوا من التأثير على خططها.

اليهودي الثالث: قول حكيم جداً . قد يكون الأمر على هذه الحال.

اليهودي الثاني: و لكن هناك اجتماع في مجلس الشيوخ و على كلّ يهود مالطا أن يتواجدوا هناك.

باراباس: همم – كلّ يهود مالطا يجب أن يكونوا هناك! أجل و كأنّ هذا يكفي، فليحضر الجميع مراعاة للأعراف فإن كان هناك أمر يتعلّق بوضعنا كونوا متأكّدين من أنني سأهتم – بنفسي. **(انباً)**

اليهودي الأوّل: أعلم أنك ستفعل ذلك.حسنٌ أيها الأخوة دعونا نذهب.

اليهودي الثاني: دعونا نذهب.وداعاً يا باراباس الطيب.

باراباس: وداعاً يا ذاريث و تيمانت. **(يخرج اليهود)**

و الآن يا باراباس ابحث عن هذا السر و استدعِ حواسك و اجمع فطنتك مع ذكائك. هؤلاء الرجال مخطئون في هذه المسألة كلياً. لطالمادفعتْ مالطا الجزية للأتراك. فأي جزية أخشى أن يكون الأتراك تركوها تتزايد حتى وصلت إلى مبلغ لا يمكن لثروة مالطا جميعها أن تدفعها. و ربما يفكر الأتراك أنهم سيستغلون الفرصة و ينقضون على المدينة. نعم هذا ما يسعون إليه.إلا أنّ العالم يمضي سأتأكد من ذلك و أسعى لتجنّب الأسوأ و أحرس ما لدي بحذر مريب. فليدخلوا و ليستولوا على المدينة.

(يخرج)

يدخل فيرنيز حاكم مالطا و فرسان و ضباط يقابلهم كاليماث و باشاوات أتراك

فيرنيز: و الآن أيها الباشاوات ما هي مطالبكم عندنا؟

الباشا الأوّل: اعلموا يا فرسان مالطا بأننا جئنا من "رودز" من قبرص من جزيرة كاندي و جزر أخرى تقع في البحر الأبيض المتوسّط.

فيرنيز: و ما علاقة قبرص و كاندي و الجزر الأخرى بنا أو بمالطا؟ ما هي مطالبكم منا؟

كاليماث: جزية عشر سنوات غير مدفوعة.

فيرنيز:و أسفاه يا سيدي فالمبلغ ضخم جداً ! آمل من سموكم أن تأخذونا بعين الاعتبار.

كاليماث: أتمنى لو كان الأمر من صلاحياتي أيها الحاكم الشجاع أن أعفو عنكم لكن هذا شأن أبي حيث لا يمكنني بل لا أجرؤ على العبث معه.

فيرنيز: إذن اسمحوا لنا أيها العظيم سليم كاليماث.

كاليماث: قفوا كلكم جانباً و اتركوا الفرسان يقررون و اطلبوا من قواربنا أن تبقى قيد الإبحار لأننا ربما لن نتأخر هنا، و الآن أيها الحاكم هل توصّلت إلى قرار؟

فيرنيز: بما أن شروطكم قاسية و أنتم تطلبون جزية عن عشر سنوات ماضية سنحتاج وقتاً لجمع المبلغ من سكان مالطا.

الباشا الأوّل:هذا أكثر مما نحن مخوّلون به.

كاليماث: ما هذا يا كالابان! ظهِر قليلاً من اللباقة. دعنا نطلّع على مهلتهم فقد لا تكون طويلة، و من اللائق بالملوك أكثر الحصول على ما يريدون عن طريق السلام من فرض شروط بالقوّة. ما هي المهلة التي تطلبونها أيها الحاكم؟

فيرنيز: ليس إلا شهراً واحداً .

كاليماث:نمنحك شهراً و لكن عليك أن تفِ بوعدك. و الآن أعيدوا قواربنا إلى البحر من جديد و سنلتزم بالمهلة التي طلبتموها و سنرسل رسولنا من أجل المال. وداعاً أيها الحاكم العظيم و إلى اللقاء يا فرسان مالطا الشجعان.

فيرنيز: ليكن الحظ معك يا كاليماث!

(يخرج كاليماث و الباشاوات)

اذهبوا و أحضروا يهود مالطا إلى هنا.

ألم نطلب منهم أن يحضروا اليوم؟

الضابط الأوّل: نعم طلبنا منهم و هاهم قد حضروا.

يدخل باراباس و ثلاثة يهود

الفارس الأوّل: هل قرّرت ما ستقول لهم.

فيرنيز: أجل قرّرت، اعذروني و أنتم أيها اليهود اقتربوا الآن. وصل سليم كاليماث العظيم من إمبراطور تركيا و طالبنا سموّ ابنه بجزية عن عشر سنوات مضت، واعلموا أن هذا الموضوع يعنينا جميعاً .

باراباس: إذن هذا جيد يا مولاي! لكي تحافظ على هدوءك ستقوم بعمل جيد و تحرص على أن يحصلوا على الجزيّة.

فيرنيز: يا لرقّتك يا باراباس! هناك فترات طويلة أكثر مما ستصل إليه جزية عشر سنوات. هذا مبلغ صرفناه و لا يمكنناأنْ ندفعه بسبب الحروب التي سلبت خزينتنا و لذلك نطلب مساعدتك.

باراباس: متأسف يا مولاي فنحن لسنا جنوداً ! وما هي مساعدتنا أمام أمير عظيم مثلك؟

الفارس الأوّل: تباً لك أيها اليهودي! نعلم أنك لستجندياً، فأنت تاجر و رجل ثريّ، فنحن نسعى إلى مالك و ليس إليك.

باراباس: كيف، يا مولاي! مالي!

فيرنيز: مالك و مال البقيّة، و لكي أختصر عليكم يجب أن نحصل على المال منكم.

اليهودي الأوّل: للأسف يا مولاي معظمنا فقير!

فيرنيز: إذن فليزيد الأغنياء من حصصكم.

باراباس: هل على الغرباء عن الجزية ضريبة؟

الفارس الثاني: هل يسمح لنا الغرباء بالحصول على ثروتهم؟ إذن فليساهموا معنا.

باراباس: كيف! ناصفةً !

فيرنيز: كلا أيّها اليهودي مثل الكفّار-إذ من خلال معاناتنا من حياتكم البغيضة يقفون ملعونين أمام الله و تحلّ بنا الضرائب و المصائب و لذلك نحن مصممون-خُذ، اقرأ بنود مراسيمنا.

يقرأ الضابط: ***أولاًيجب دفع مال الجزية للأتراك من اليهود و كلّ واحد منهم عليه دفع نصف ممتلكاته.***

باراباس: ماذا؟ نصف ممتلكاته! آمل أنك لا تقصد ممتلكاتي. **(انباً)**

فيرنيز: ابعْ في القراءة.

يقرأ الضابط: ***ثانياًمن يرفض أن يدفع يصبح مسيحياً مباشرةً .***

باراباس: ماذا؟ مسيحيّ! – ماذا –ما علاقة هذا؟

يقرأ الضابط: ***أخيراً، و من يرفض هذاأيضاً يخسر كلّ ما يملك تماماً .***

اليهود الثلاثة: أوه يا مولاي سنعطيك النصف!

باراباس: أوه أيّها الأوغاد، لستم يهوداً بالأصل! و هل ستجبرون أنفسكم بذل على ترك ممتلكاتكم لحكمهم؟

فيرنيز: لماذا يا باراباس هل تريد أن تصبح مسيحياً؟

باراباس: كلا أيها الحاكم لن أرتد عن ديني.

فيرنيز: إذن ادفع نصف ممتلكاتك.

باراباس: لماذا؟ هل تدري ماذا فعلت بهذه الخدعة؟

نصف ثروتي هي ثروة مدينة بأكملها. أيها الحاكم، لم يكن جمعها بالأمر السهل و لن أفارقها بهذه السهولة.

فيرنيز: سيّدي النصف هو عقوبة مرسومنا، إما ادفع ذلك أو نستولي على الكلّ.

باراباس: تباً لك! انتظر سأعطيك النصف خذوا مني كما أخذتم من أخوتي.

فيرنيز: كلا أيّها اليهوديّ فقد اعترضت على البنود و لا يمكن إلغاء ذلك.

(يخرج الضباط بإشارة من فيرنيز)

باراباس: هل ستسرقون ممتلكاتي؟ هل السرقة أساس دينكم؟

فيرنيز: كلا، و لكننا سنأخذ مالك لننقذ دمار الجميع فلئن يفقر شخص واحد في سبيل خير عام أفضل بكثير من أن يموت الكثير من أجل رجل واحد، و لكن يا باراباس لن ننفيك، و هنا في مالطا حيث جمعت ثروتك يمكنك الاستمرار في العيش و إن استطعت اجمع مالاً أكثر.

باراباس: أيّها المسيحيّون، كيف لي أن أضاعف ثروتي؟ فلا يمكن لشيء أن يأتي من العدم.

الفارس الأوّل: من العدم كسبت ثروة قليلة و من الثروة القليلة جنيت أكثر فأكثر. فإن حلّت لعنتك الأولى على رأسك بقوّة و اردتك فقيراً و محتقراً في العالم فهذا ليس ذنبنا بل هي خطيئتك الملازمة لك.

باراباس: ماذا هل تقتبس من الكتاب المقدّس لتثبت أخطائك؟ لا تلقِ عليّ الوعظ لتسلبني ممتلكاتي، فبعض اليهود خبيث كما هي حال كلّ المسيحيين، و لنقل إن القبيلة التي انحدرت منها طُردوا بعيداً و نُفوا بسبب الخطيئة، فهل عليّ أن أُحاكَم على عصيانهم و خطيئتهم؟ على المرء المستقيم في تعاملاته أن يعيش، و من منكم يستطيع أن يتّهمني بعكس ذلك؟

فيرنيز: أخرج يا باراباس التعيس! ألا تخجل من تبرير نفسك كما لو كنّا لا نعلم مهنتك؟ فإن تعتمد على استقامتك، اصبر و ستزداد ثروتك فما زيادة الثروة إلا سبب الجشع و الجشع آه هو خطيئة فظيعة.

باراباس: أجل و السرقة أسوأ منه. بَّ !لا تأخذ مني لأنّ ذلك سرقة، و إن تسرقني سأُضطر إلى أن أسرق و أجمع أكثر.

الفارس الأوّل: أيها الحاكم الشجاع لا تستمع إلى صرخاته حوّل قصره إلى دير إذ يمكن لقصره أن يأوِ العديد من الراهبات.

فيرنيز: سيكون ذلك.

يدخل الضباط من جديد

و الآن هل انتهيتم أيها الضباط؟

الضابط الأوّل: أجل يا مولاي لقد استولينا على بضائع و ممتلكات باراباس و التي بعد تقييمها بلغت أكثر من كلّ ثروة مالطا، و استولينا على نصف ممتلكات اليهود الآخرين.

فيرنيز: إذن سننظّم البقية الزائدة.

باراباس: قلْ لي يا مولاي هل أنت راض؟ لقد حصلت على بضاعتي و مالي و ثروتي و سفني و مستودعي و كلّ ما أملك، و بعد أن حصلت عليهم جميعاً لا يمكنك أن تطلب أكثر من ذلك إلا إذا كانت قلوبكم المتحجّرة و عديمة الرحمة تقمع كلّ أنواع الشفقة في صدوركم الحجرية، و الآن هل ستمضي في سلبي حياتي أيضاً .

فيرنيز: كلا يا باراباس فليس من طبعنا أو من عملنا أن نلطّخ أيدينا بالدم.

باراباس: أعتقد أن ضرر قتل الناس التعساء أقلّ بكثير من التسبب بتعاستهم. لقد استوليت على ثروتي التي هي تعب حياتي و عزاء عمري و أمل أولادي و مع ذلك لا تميّز الخطأ.

فيرنيز: اقنع يا باراباس إذ ليس لديك إلا الصواب.

باراباس: إنّ صوابك المفرط يظلمني كثيراً، و لكن خذه باسم الشيطان!

فيرنيز: تعالوا ندخل و نجمع تلك البضائع و الأموال لجزية الأتراك.

الفارس الأوّل: من الضروري الاهتمام بذلك لأننا إذا أخلفنا بموعدنا سنخرق ميثاقنا و هذه ستكون سياسة ساذجة.

(يغادر الجميع ما عدا باراباس و اليهود الثلاثة)

باراباس: أجل، سياسة! هذه هي مهنتهم و ليس البساطة كما يدّعون – فليحلّ بهم طاعون مصر و لعنة السماء و جدب الأرض و كل كراهية الناس أيّها العظيم برايماس موتور! و أنا جاثٍ على ركبتي و أضرب الأرض ألعنُ أرواحهم بآلام أبديّة و عذاب شديد من أشدِّ النيران لأنّهم تسببوا لي بهذه المصيبة!

اليهوديّ الأوّل: أوه، اصبر يا باراباس الطيب رغم ذلك!

باراباس: أوه أيّها الأخوة الحمقى! يا من ولدتم لتشهدوا هذا اليوم لماذا تقفون بلا حراك إزاء حزني؟ لماذا لا تبكون عندما تفكرون بظلمي؟ لماذا لا أضيع و أموت في هذه المحنة؟

اليهوديّ الأوّل: لماذا يا باراباس فبالكاد نفكر بظلمنا القاسي في هذا الأمر فقد رأيت كيف أخذوا نصف أملاكنا.

باراباس: لماذا استسلمتم لابتزازهم؟ فقد كنتم كثرة و أنا واحد و أخذوا مني فقط كلّ ما أملك.

اليهوديّ الأول: و مع ذلك يا أخي باراباس تذكّر أيّوب.

باراباس: ماذا تخبرني عن أيوّب؟ أعرف ثروته كما هو مكتوب، فقد كان عنده سبعة آلاف من الغنم و ثلاثة آلاف جمل و مائتا ثور نشيط و خمسمائة أتان، و بسعر كلّ واحدة من تلك البهائم كان عندي في البيت و في أسطولي و سفني الأخرى القادمة من مصر، و كان عندي أكثر بحيث يمكنني أن أشتريَ بهائمه كلّها و أشتريه معها، و مع ذلك لم ابقِ لنفسي إلا ما يكفي لأعيش فقط و ليس هو بل أنا من يلعن اليوم المميت الذي ولدت فيه يا باراباس البائس، و لذلك أتمنى أن يحلّ ليل سرمدي و أن تحيط غيوم الظلام بجسدي و تخفي أحزاني الشديدة تلك عن عينيّ، لأنني كدحت فقط لأرث هنا أشهراً عابثة و هدراً للوقت و سترافقني ليالٍ مؤلمة.

اليهوديّ الثاني: أيها الطيّب باراباس تحلّ بالصبر!

باراباس: أجل أرجوكم دعوني و صبري. أنتم يا من لم تمتلكوا الثروة مطلقاً مسرورون بالحاجة، و لكن أعطوني على الأقل حرية الحِداد فقد رأيت في أرض المعركة و بين أعدائي رأيت جنودي يذبحون فأنا مُفجَع ولا أدري كيف السبيل إلى الشفاء. أجل دعوني أجذع على هذا الحظّ المفاجئ فأنا أتكلّم و روحي متأزّمة إذ لا يمكن نسيان الجروح بسرعة.

اليهوديّ الأوّل: تعالوا و دعونا نتركه، ففي حالته الغاضبة ستزيد كلماتنا من نشوته.

اليهوديّ الثاني: أوه!و لكن صدّقوني أن رؤية امرئ في مثل هذه المصيبة هو أمر مزري. وداعاً يا باراباس.

باراباس:أجل وداعاً جميعاً .

(يغادر اليهود الثلاثة)

انظروا إلى سذاجة هؤلاء العبيد السفلة،الذين لا يملكون عقولاً و يظنّون أنني كتلة طين خالية من المشاعر و الأحاسيس مع كلّ قطرة ماء أنقى من الأوساخ! كلا، باراباس مولود لأجل حظّ أفضلو مشكّل من قالب أنقى من الناس العاديين، بحيث يعد العدم فقط في الوقت الراهن، ففكري الثاقب سيفتّش بنات أفكاري العميقة و أخطط بمكر بالوقت القادم، فالشرور تحلّ كل يوم. أين تمضي ابنتي الجميلة أبيغيل؟ أوه، ما الذي أحزن ابنتي الجميلة؟ ما الأمر يا امرأة! لا تحزني على خسارة قليلة فأبوك يخبئ لك ما يكفي.

أبيغيل: ليس من أجلي أحزن بل لأجلك يا أبتي المُسنّ ، و لكنني سأتعلم أن أهجر هذه الدموع التي لا فائدة منها، و سأركض إلى مجلس الشيوخ بصرخات شرسة، تدفعني إلى ذلك مصائبي و ألومهم جميعاً و أقطّع قلوبهم بتمزيق شعري حتى يخففوا من الظلم الذي ألحقوه بوالدي.

باراباس: كلا يا أبيغيل فالأمور الميئوس شفاؤها نادراً ما تُشفي بالصراخ.لزامِ الصمت يابنتي فالعذاب يولّد الفرج، و قد يمنحنا الزمن فرصة لا يمكنها فجأة أن تردّ المعروف و لا تحسبي أنني أحمق جداً و مهمل بحيث أترك كلّ شيء دون زادٍ لي و لك فقد خبّأت عشرة آلاف قطعة فضيّة و لآلىء عظيمة و مجوهرات باهظة الثمن و أحجاراَ كريمة لا حصر لها خشية أن يحلّ بنا مثل هذا البلاء.

أبيغيل: أين خبأتها يا أبي؟

باراباس: في البيت يا بنتي.

أبيغيل: ألن يروك يا أبتي؟ فقد استولوا على المنزل و الممتلكات الأخرى.

باراباس:لكنهم سيسمحون لي مرّة أخرى أن أدخل المنزل أنا متأكّد.

أبيغيل: قد لا يسمحون لك، فقد تركت هناك الحاكم يضع الراهبات في مكاني و ينوون أن يجعلوا البيت ديراً للراهبات حيث لا يمكن لأحد دخوله إلا الراهبات و عادة لا يُسمح للرجال.

باراباس: لقد خسرت ذهبي و ثروتي كلّها! أيتها السماء الظالمة هل أستحق هذا البلاء؟ لماذا تعارضيني أيّها النجوم التعيسة و تجعلين مني بائساً فقيراً؟ و هل تظنين أنني مجنون لدرجة أن أشنق نفسي؟ لعلمك أنني لا أصبر في وجه المحن و أنني سأختفي من الأرض و أصبح هواء و أختفي من ذاكرة الوجود ....

كلا، سأعيش و لن أمقت حياتي هذه، و بما أنكم تتركوني في البحر هكذا لأغرق أو أنجو، و تبدّلون الكفني سأقوّي من حواسي و أبقى متيقّظاً . فهمت يا بنتي فأنت تدركين الورطة التي وضعني فيها المسيحيون ظلماً، دعيني أقودك ففي الحالات القصوى علينا ألا ندّخر أيّة وسيلة.

أبيغيل: أبتي، أيّ شيء، مهما كان، لن تحاوله أبيغيل لتؤي من أذاك و ظَلمن على الملء؟

باراباس: هل قلت أنهم حوّلوا منزلي إلى دير للراهبات و تسكنه بعضهن؟

أبيغيل: أجل.

باراباس: إذن يا أبيغيل عليك أن تطلبي من رئيسة الراهبات "الأمّ" أن تدخلي.

أبيغيل: كيف! كراهبة؟

باراباس: أجل يا بنتي لأنّ الدِّين يُبعد الشك عن شرور كثيرة.

أبيغيل: أجل يا أبتي، و لكن قد يشكون بي.

باراباس: ليفعلوا ذلك، و لكن كوني دقيقة جداً لأنّهم قد يظنون أنك فعلت ذلك بدافع التديّن.توددي إليهم جيداً و خاطبيهم بودّ و أظهري لهم أن خطاياك كانت عظيمة إلى أن أصبحت راهبة.

أبيغيل: لذلك سأتظاهر كثيراً يا أبتي.

باراباس: باً إتظاهري كثيراً بحيث يبدو أنك صادقة أولاً ثم تظاهري بذلك فالادّعاء المزيّف أفضل بكثير من النفاق الخفي.

أبيغيل: حسن يا أبتي لنقل أنني دخلت ماذا أفعل بعد ذلك؟

باراباس: هذا ما تفعلينه فهناك قد خبأت من أجلك تماماً تحت اللوح الذي يصل إلى أرض الغرفة العلوية الذهب و المجوهرات، و لكن ها قد جاؤوا كوني ماكرة يا أبيغيل.

أبيغيل: إذن اذهب معي يا أبتي.

باراباس: كلا يا أبيغيل ليس من الضرورة أن يروني في هذا المكان لأنني سأبدو ستاءً منك على فعلتك هذه. كوني قريبة يا بنتي فهذا سيُضِر ذهبي.

(يودّعان بعضهما بعضاً)

يدخل الراهب جاكومو و الراهب بارناردين و الأم و راهبة

الراهب جاكومو: أيتها الأخوات نحن الآن تقريباً في الدير الجديد.

الأمّ : هذا أفضل لأننا لا نحبّ أن يرانا أحد، فقد مضت ثلاثون سنة منذ أن انعزل بعضنا عن جموع الناس كثيراً .

الراهب جاكومو: و لكن يا سيدتي هذا المنزل و مياه الدير الجديد سيسرّك كثيراً .

الأمّ : قد يكون الأمر على هذا النحو، و لكن من القادم إلى هنا؟

(تتقدّم أبيغيل)

أبيغيل: أيتها الأمّ العظيمة و مرشدة العذارى السعداء أشفقي على حالة فتاة مكروبة!

الأمّ : من أنت يا بنتي؟

أبيغيل: الابنة اليائسة لليهودي التعيس، يهودي مالطا، باراباس التعيس من كان عنده منزل فخم حولّوه الآن إلى دير.

الأمّ : قولي لي يا بنتي ما قصتك معنا؟

أبيغيل: أود أن أمضِ بقية حياتي تائبة و متدرّبة في الدير لأكفّر عن روحي المعذّبة، لأنني أخشى أن البلوى التي يشعر بها والدي جاءت من الخطيئة أو قلّة إيماننا.

الراهب جاكومو: بلا شك يا أخي و لكن هذا يأتي من الروح.

الراهب بارناردين: أجل و من روح تائهة أيضاً يا أخي، و لكن تعال و دعنا نطلب أن تُقبل في الدير.

الأم: حسنٌ يا بنتي سنقبلك كراهبة.

أبيغيل: أولاً دعوني أتعلّم كمتدرّبة كي أعوّد حياتي المنعزلة على قوانينكم الصارمة. و دعوني أقيم حيث كنت أحبّ أن أسكن. فأنا لا أشك أنني سأستفيد من تعاليمكم الدينية و من جِدّي الحثيث.

باراباس: آمل أن تستفيدي كثيراً كثمن ما خبأت. **(انباً)**

الأمّ : تعالي يا بنتي اتبعينا.

باراباس: (يقترب) لماذا يا أبيغيل! ما الذي يجعلك بين هؤلاء المسيحيين؟

الراهب جاكومي: لا تمنعها يا قليل الإيمان فقد حصّنتْ نفسها.

باراباس: كيف حصّنتْ نفسها!

الراهب جاكومي: و قد دخلت في الرهبنة.

باراباس: يا بنة الهلاك و يا خزيَ أبيك! ماذا ستفعلين بين هؤلاء الشياطين الحقودين؟ أطلب إليك ببركاتي أن تتركي هؤلاء الشياطين و هرطقتهم الملعونة!

أبيغيل: سامحني يا أبتي.

باراباس: كلا، عودي ياأبيغيل و فكّري بالمجوهرات و الذهب فاللوح الذي يغطيهم عليه إشارة.--- **(يهمس جانباً إلى أبيغيل)** ابتعدي عن ناظر أبيك أيتها الملعونة.

الراهب جاكومي: اسمع يا باراباس بما أنك كافر و لن ترى مصائبك فلا تدع ابنتك عمياء بعد الآن.

باراباس: أيها الراهب الأعمى أنا لا أقتنع بما تحاول أن تقنعني.

اللوح الذي يغطيهم (الذهب و المجوهرات) عليه إشارة. **(يهمس جانباً إلى أبيغيل)**

أفضّل أن أموت على أن أراها هكذا معكم تتركني في مصيبتي. هل أغووك يا بنتي؟ اذهبي و انسني. **(يهمس إليها جانباً)** كيف يبدو أن اليهود سريعو التصديق؟ صباح الغد سأكون عند الباب. **(يهمس جانباً إليها)** كلا لا تقتربي مني إذا كنت ستلعنين. انسني و لا تريني هيا اذهبي! وداعاً و تذكري صباح الغدّ **(يهمس إليها جانباً)**

اخرجي، اخرجي أيتها التعيسة!

(يخرج من أحد الجانبين باراباس و من الجانب الآخر يخرج الراهبان و الأمّ و الراهبة و أبيغيل. و أثناء خروجهم يدخل ماتياس)

ماتياس: من هذه؟ أبيغيل الجميلة! ابنة اليهودي الثري تصبح راهبةً ! لقد أذلها سقوط أبيها و أتى بها إلى هذه الحالة. و أسفاه! كان من الأنسب لها أن تكون قصّة حب على أن تتعب في السجون، و كان من الأفضل لها أن تكون في سرير بين ذراعي حبيب على أن تستيقظ في منتصف الليل على قدّاس.

يدخل لودوفيك

لودوفيك: ما الأمر، يا سيد ماتياس؟ لماذا أنت كئيب؟

ماتياس: صدّقني أيها النبيل لودوفيك أنني-و في رأيّ-رأيتُ أغرب شيء.

لودوفيك: أرجوك قل لي ما هو؟

ماتياس: شابة جميلة بالكاد في الرابعة عشر من عمرها و أجمل زهرة من حقل آلهة الحبّ و الجمال "سيثيريا"حُرمت من متع الأرض الغنية و تحوّلت تحولاً غريباً إلى راهبة.

لودوفيك: قل لي من هي؟

ماتياس: إنها ابنة اليهودي الثري.

لودوفيك: نَ ْ ، باراباس الذي تم مصادرة ممتلكاته مؤخراً؟ هل هي بهذا الجمال؟

ماتياس: و جمالها لا يُضاهى فلو أنك رأيتها، لتحوّك قلبك لمحبّتها أو على الأقل للإشفاق عليها، مع أن قلبك محفور بجدران من النحاس.

لودوفيك: لو أنها بهذا الجمال كما تصف فسأستثمر الوقت في الذهاب و زيارتها. ما رأيك؟ هل نذهب؟

ماتياس: يجب أن أذهب، و سأذهب يا سيدي لا بد من ذلك.

لودوفيك: و أنا سأذهب، أو سيكون ذلك مؤلماً إن لم أفعل. وداعاً يا ماتياس.

ماتياس: وداعاً يا لودوفيك.

(يخرجا كلّ في طريق)

الفصل الثاني

يدخل باراباس و معه شعلة

باراباس: و هكذا كالغراب المنذر بالحزن، الذي ينقر أوراق سفر الرجل المريض بمنقاره الجائع في ظلمة الليل الصامت،و يهزّ جناحيه المخمليين، يركض باراباس المسكين بلعناته المميتة على المسيحيين. لقد ولّت متع الأوقات السريعة المتقلّبة و تركتني في اليأس، و لم يبقَ لي من ثرواتي السابقة إلا مجرّد الذكرى كندبة الجنديّ الذي لا تواسيه إصابته. أوه أنت أيتها الشعلة ذات الدعامة النارية المتوهّجة يا من قدت أبناء إسرائيل عبر الظلال الموحشة! أنيري ذريّة إبراهيم و ارشدي يد أبيغيل ابنتي في هذه الليلة! أو حوّلي النهار إلى ليل سرمدي! بعد هذا لن تنام عيناي الساهرتان و لن تهدأ أفكاري المشوّشة حتى أحصل على جواب من أبيغيل.

تدخل أبيغيل من فوق

أبيغيل: و الآن و لحسن الحظّ حصلتُ خلسة على الوقت لتفتيش اللوح الذي عيّنه لي والدي، و هنا أرى خفية ما وجدت من ذهب و لآليء و مجوهرات خبأها أبي.

باراباس: و الآن أتذكّر كلمات تلك العجائز اللاتي قد تقصُّ لي حكايات الشتاء عن ثروتي، و يتحدّثون عن الأرواح و الأشباح التي تنزل ليلاً إلى مكان مخبأ الكنز و الآن أظن أنني أحد أولائك الأشخاص، فبينما أعيش يعيش أمل روحي الوحيد و عندما أموت هنا ستمشي روحي.

أبيغيل: يا لثروة أبي المحظوظة لأن تكون في هذا المكان السعيد! و لكنها ليست بهذه السعادة. عندما افترقنا قال أبي إنه سيأتي إليّ في الصباح. إذن أيها النوم الرقيق أينما يرقد جسده أعط الإذن لمورفيوس (إله النوم و الأحلام) بأن يحلم والدي حلماً ذهبياً و عندما يستيقظ فجأة يأتي و يستلم الكنز الذي وجدته هنا.

باراباس: سأمضي بسلام و أجلس حزيناً و لكن مهلاً : أي نجم يشع هناك في الشرق نجمة حياتي، لو أبيغيل - من هناك؟

أبيغيل: من ذاك؟

باراباس: سلام، أبيغيل إنّه أنا.

أبيغيل: إذن خذ يا أبتي و استلم سعادتك.

باراباس: هل وجدتها (ثروتي)؟

أبيغيل: خذ (رمي صناديقاً) هل استلمت؟ هناك المزيد و المزيد و المزيد.

باراباس:أوه، ابنتي و ذهبي و ثروتي و سعادتي قوّة روحي و موت عدوي. أهلاً ببداية نعمتي! أوه، أبيغيل، أبيغيل ها أنا أحصل عليك أيضا إذن فقد أشبعت رغباتي كلّها. من الآن فصاعداً سأقوم بزيادتك. أوه يا بنتي! أوه يا ذهبي! يا للجمال! أوه يا نعمتي! **(يحضن الصناديق)**

أبيغيل: أبي، يقترب الآن الوقت من منتصف الليل، و حوالي هذا الوقت تقريباً تبدأ الراهبات بالاستيقاظ. كي نتجنّب الشك دعنا نفترق.

باراباس: وداعاً يا مهجتي و خذي من أصابعي قبلة أرسلها إليك من روحي **(تغادر أبيغيل من فوق)** و الآن افتح أجفان النهار يا إله الشمس "فيباس" و أنت أيها الغراب أيقظ عصافير الصباح لأحلّق معها في الهواء، و أغني فوق هذه الكنوز كما تغني هي فوق صغارها.

(يخرج)

يدخل فيرنيز و مارتن ديل بوسكو و الفرسان و الضباط في مجلس الشيوخ

فيرنيز: و الآن أخبرنا أيها القبطان إلى أين أنت متجه؟ و أين سفينتك التي ترسو في مرفأنا؟ و لماذا جئت إلى سواحلنا من دون إذننا؟

مارتن ديل بوسكو: يا حاكم مالطا أنا متّجه إلى هنا. و سفينتي "التنين الطائر" هي اسبانية، و اسمي ديل بوسكو نائب أدميرال الملك الكاثوليكي.

الفارس الأول:هذا صحيح يا سيدي لذلك أرجو أن تعامله جيداً .

مارتن ديل بوسكو: سفينتنا مليئة باليونانيين و الأتراك و المغاربة الأفارقة، و لقد تأخرنا على سواحل كورسيكا، و لأننا لم نرفع أعلامنا للأسطول التركي قامت قواربهم الحربية الزاحفة بمطاردتنا، و فجأة بدأت الريح تعلو و أخذتنا باتجاه اليسار و قاتلنا على مهلنا فأطلقنا النار على بعضهم و أغرقنا الكثيرين و أصبح واحد منهم غنيمتنا، و قتل القبطان و بقي الباقون عبيداً لنا نريد أن نبيعهم هنا في مالطا.

فيرنيز: لقد سمعت باسمك يا مارتن ديل بوسكو.أهلاً بك في مالطا و فينا جميعاً ! و لكن لا يمكننا أن نسمح ببيع أسراك الأتراك فنحن لا نجرؤ على الموافقة بسبب ميثاق الجزية بيننا و بين تركيا.

الفارس الأوّل: ديل بوسكو بما أنك أحببتنا و شرّفتنا، أقنع حاكمنا بالانقلاب على تركيا، فليس الميثاق التي بيننا إلا أملاً في الذهب و بهذا المبلغ الذي يطمع به قد نشن حرباً .

مارتن ديل بوسكو: هل يمكن أن يكون فرسان مالطا على ميثاق مع الأتراك و يشترون الهدنة بوضاعة مقابل مبالغ من المال؟ مولاي تذكّر بأنه عار على أوروبا فقدان جزيرة "رودز" المسيحية، و هي بلدك الأصلي و قيل هناك أنك على عداوة مميتة مع الأتراك.

فيرنيز: أيها القبطان نعلم ذلك إلا أن قوتنا صغيرة.

مارتن دي بوسكو: ما هو المبلغ الذي يطالب به كاليماث؟

فيرنيز: مائة ألف قطعة ذهبية.

مارتن ديل بوسكو: لدى مولاي و ملكي حصّة في هذه الجزيرة و ينوي طردك بسرعة من هنا لذلك دع الحكم لي و احتفظ بالذهب.سأكتب إلى سموّه طلباً للمساعدة و لن أرحل حتى أراكم أحراراً .

فيرنيز: بهذا الشرط ستبيع أسراك الأتراك. اذهبوا أيها الضباط و اعرضوهم إلى البيع في الحال. **(يخرج الضباط)** و أنت يا بوسكو ستصبح القائد العام في مالطا. و سنتبعك نحن و فرساننا في مواجهة الأتراك الهمجيين الكفرة.

مارتن ديل بوسكو: إذن ستقلّد من تبعت في الحكم، فعندما حلّ جيشهم الكريه في جزيرة "رودز"مع أنّ عددهم الذي سيطر على البلدة كان كبيراً،إلا أنّهم قاتلوهم حتى آخر رجل و لم ينجُ أي واحد منهم كي يأتي بالأخبار التعيسة إلى البلاد المسيحية.

فيرنيز: و هل سنقاتل حتى آخر رجل، تعال دعنا نذهب، يا كاليماث الوقح و المغرور سنرسل إليك رصاصاً تلفه النار و الدخان بدلاً من الذهب. طالب بالجزية كيفما تشاء فنحن عازمون على شراء الشرف بالدم و ليس بالذهب.

(يغادر)

يدخل الضباط مع إيثامور و عبيد آخرون

الضابط الأوّل: هذا هو مكان السوق دعهم يقفون هنا، و لا تخشى عدم بيعهم فسيتم شراؤهم بسرعة.

الضابط الثاني: سعر كل واحد منهم مكتوب على ظهره، و عليهم أن يخفضوا السعر كثيراً كي يتم بيعهم.

الضابط الأوّل: ها قد جاء اليهوديّ.لو لم يُستولَى على ممتلكاته لاشتراهم في الحال جميعاً مقابل المال.

يدخل باراباس

باراباس: رغم أنف هؤلاء المسيحيين آكلي الخنزير (*الشعب غير المختار و بدون ختان، ليسوا إلا أوغالاً مساكين و لم نُقم لهم وزناً قط حتى غزانا تايتاس من أتباع القديس بول*) و ها أنا أغدو ثرياً كما كنت. لقد كانوا يأملون أن تصبح ابنتي راهبة و لكنها في البيت،و أنا اشتريت منزلاً فخماً كبيراً و جميلاً كمنزل الحاكم، و هناك و رغم أنف سكان مالطا سأمكث و لأني كسبت يد فيرنيز الذي سأحصل على قلبه و قلب ابنه أيضاً، و إلا سأحزن كثيراً، فأنا لست من قبيلة "ليفي" أنا لن أنسَ بسرعة الضرر، فنحناليهود يمكننا أن نتملّق كالكلاب عندما نشاء و عندما نتألّم نعضّ و مع ذلك فمنظرنا بريء و مسالم كالحمل.تعلّمت في فلورنسا أن أقّل يديّ و أرفع كتفيّ عندما ينادونني كلباً، و أخفضهما جداً كأي راهب حافي القدمين و كلّي أمل أن أراهم يتضورون جوعاً على المربط و إلا مجتمعين في معبدنا (الكنيست) و عندما يأتي حوض الهبات إليّ حتى للإحسان فسأبصق فيه. ها قد جاء الدون لودوفيك، ابن الحاكم الذي أحبّه من أجل أبيه الطيّب.

يدخل لودوفيك

لودوفيك: أسمع أن اليهودي الثري يمشي من هنا. سألحق به و أتسلل فربما أرى أبيغيل فقد أخبرني الدون ماتياس بأنها جميلة.

باراباس: و الآن سأظهر لنفسي أنني أقرب إلى الثعبان منه إلى الحمام أي أنني وغد و لست أحمقاً . **(جانباً)**

لودوفيك: هناك يمشي اليهودي و الآن من أجل أبيغيل الجميلة.

باراباس: أجل، أجل فهي تحت إمرتك. **(جانباً)**

لودوفيك: باراباس أنت تعلم أنني ابن الحاكم.

باراباس: أتمنى لو كنت أباه أيضاً، يا سيدي! هذا هو الضرر الذي أتمناه لك كلّه. يبدو كما لو كان العبد وجنة خنزير صغير مباركة.

لودوفيك: إلى أين أنت ذاهب يا باراباس؟

باراباس: ليس إلى مكان بعيد. فالعادة عندنا عندما نتكلّم مع أسياد مثلك نلجأ إلى الهواء لتطهير أنفسنا لأن الوعد ينتمي إلينا.

لودوفيك: حسن يا سيدي هلاّ أعطيتني ماسة؟

باراباس: أوه يا سيدي استولى أبوك على كل ماساتي، و لكن عندي لك ماسة ستفي بالغرض. أعني ابنتي و لكن قبل أن يستولي عليها سأضحيّ بها على كومة من الحطب. أسمّم المدينة كلها من أجله و الجذام الأبيض. **(انباً)**

لودوفيك: أي بريق تعطيه بدون طبقة من الفضّة؟

باراباس: إن الماس الذي أتحدّث عنه لا يحتاج إلى فضّة، و لكن عندما يلمسها ستكسوها طبقة من فضّة. **(انباً)** تشعّ بريقاً و جمالاً يا سيد لودوفيك.

لودوفيك: هل هي مربّعة أم مُدبّبة؟ أرجوك قل لي.

باراباس: مُدبّبة يا سيدي الطيب، و لكن ليست لأجلك. **(جانبا)**

لودوفيك: أحبّها أكثر هكذا.

باراباس: و أنا أيضاً .

لودوفيك: و كيف تظهر في الليل.

باراباس: تفوق أشعة آلهة القمر "سينثيا". ستحبّها أكثر في الليل من النهار. **(جانبا!)**

لودوفيك: و كم ثمنها؟

باراباس: حياتك إن حصلت عليها **(انباً)**- أوه يا سيدي! لن نختلف على السعر، تعال إلى منزلي و سأعطيك إياها يا مولاي بقوّة. **(انباً)**

لودوفيك: كلا يا باراباس علي أن أستحقّها أولاً .

باراباس: سيدي الطيب، لقد استحقّها والدك على يديّ فهو استولى على كلّ ممتلكاتي، و رماني خارج منزلي و حوّله إلى مكان للراهبات الطاهرات جداً، و قام بكل ذلك بدافع الإحسان فقط و الرحمة المسيحية كي يطهّرني دينياً و بأسلوب استجوابي قسويّ يجعلني أدرك ذنوبي البشرية و ضد إرادتي شئتُ أم أبيت.

لودوفيك:لا شك أنّ روحك ستجني ثمارها.

باراباس: أجل يا سيدي،و لكنّ موعد الحصاد بعيد جداً . و مع ذلك أعلم أن صلوات تلك الراهبات و الرهبان الربانيين الذين يكسبون المال لقاء آلامهم هي رائعة و بالفعل لا تفيد أي إنسان **(انباً)** و كما ترى فهم ليسوا كسالى لكنّهم يجدّون، فمن المرجّح أنهم سيجنون بعض الثمار في حينها. أعني عندماتنضج جيداً .

لودوفيك: يا باراباس الطيّب لا تنظر إلى راهباتنا.

باراباس: كلا، فأنا أقوم بذلك من خلال حماس متّقد، على أمل أن أحرق المنزل بعد فترة قصيرة، لأنني - بينما يزيدون و يتضاعفون -سأتكلّم عنهم. **(انباً)** أما بالنسبة إلى الماسة التي أخبرتك عنها، تعال معي إلى البيت و لن يفرّقنا أي سعر، حتى من أجل أبيك الكريم سيكون الأمر صعباً و لكنني سأرى موتك **(انباً)**. و لكن علي الانصراف الآن لأشتري عبداً .

لودوفيك: باراباس سأرافقك.

باراباس: تعال إذن ها هو السوق. كم هو ثمن هذا العبد؟ مائتا قطعة ذهبية! هل يساوي الأتراك هذا المبلغ الكبير؟

الضابط الأوّل: سيدي هذا هو السعر.

لودوفيك: ماذا يمكنه أن يسرق كي تطلب كلّ هذا المبلغ؟يبدو أنّهلصّ، فإن كان كذلك فهو يساوي ثلاثمائة قطعة ذهبية. و الآن وقد اشتريته يمكنني الحصول على ختم المدينة كي تبقى حياته بعيدة عن المشنقة و يوم المحاكمة حرج بالنسبة للصوص، و القليل أو لا أحد ينجو إلا بالتطهير.

لودوفيك: هل سعر هذا المغربي (العربي) مائتا قطعة ذهبية فقط؟

الضابط الأوّل: ليس أكثر يا سيدي.

باراباس: لماذا سعر هذا العربي أكثر من ذاك التركي؟

الضابط الأول: لأنه أصغر سناً و عنده مزايا أكثر.

باراباس: ماذا هل عندك حجر الفيلسوف؟ هل عندك إياها؟ اكسر رأسي بها و سأسامحك.

العبد: كلا ياسيدي يمكنني أن أقصّ و أحلق.

باراباس: دعني أرى يا غلام هل أنت حلاّق قديم العهد؟

العبد: معذرة يا سيدي فأنا شاب حديث العهد.

باراباس: شاب! سأشتريك و أزوجك بالسيدة "غرور"إن كان عملك جيّداً .

العبد: سأخدمك يا سيدي.

باراباس: يمكن أن تخدمني بخدعة خبيثة تحت اسم الحلاقة و تقطع عنقي من أجل ممتلكاتي.قلّ لي هل صحّتك جيدة؟

العبد:نعم،جيدة جداُ .

باراباس:هذا سيئ جداً . علي أن أحصل على واحد مريض لا يقع إلاّ لحفظ المؤن. فرطل واحد من اللحم يومياً لن يبقيك بهذه الصحة. دعني أرى واحداً آخر أنحف من هذا.

الضابط الأوّل: هذا أنحف ما رأيك؟

باراباس:أين وُلِدت؟

إيثامور: في ثرايث *(منطقة قريبة من تركيا و اليونان)* و ترعرعت في شبه الجزيرة العربية.

باراباس: هذا أفضل بكثير. أنت من نصيبي. بمائة قطعة ذهبية؟ سأشتريه و إليك المال. (يعطيه المال)

الضابط الأّول: انتبه منه يا سيدي، و خذه من هنا.

باراباس: أجل سأنتبه منه فقد كنت أنت الأفضل، فهذا هو من سيساعدني على القيام بأفعالي الخبيثة. **(انباً)** وداعاً يا سيدي تعال أيها الغلام فأنت ملكي الآن أما بالنسبة إلى الماسة فستكون من نصيبك. أرجوك يا سيدي خذ راحتك في منزلي، و كلّ ما عندي في المنزل تحت أمرك.

يدخل ماتياس و كاثرين

ماتياس:ما الذي يجعل اليهودي و لودوفيك على علاقة خاصّة جداً؟ أخشى أن يكون الأمر متعلّقً بأبيغيل. **(انباً)**

باراباس: (مخاطباً لودوفيك) ها قد جاء الدون ماتياس. دعنا نبقى فهو يحبّ ابنتي و هي تعتبره غالياً على قلبها، و لكنني أقسمت أن أحطّم آمالهما و أنتقم من الحاكم. **(جانباً)**

(يغادر لودوفيك)

كاثرين: هذا أجمل عربيّ، أليس كذلك؟ تكلّم يا بني.

ماتياس: كلا يا أمّي هذا أفضل منه. نظري جيداً .

باراباس: يبدو أنك لا تتعرّف عليّ أمام أمك خوفاً من أن تشكّ بالزواج القريب. عندما تعيدها إلى البيت تعال إليّ في منزلي و اعتبرني كأبيك يا بني. إلى اللقاء.

ماتياس: و لكن إلى أين تأخذ الدون لودوفيك معك؟

باراباس: بلّ يا رجل! لقد تحدّثنا عن الماس و ليس عن أبيغيل.

كاثرين: قل لي يا ماتياس أليس هذا اليهوديّ؟

باراباس: بالنسبة إلى النقد بخصوص المكابيين (أتباع القائد اليهودي جوداز ماكابيوس) فهو عندي يا سيدي و تحت تصرّفك.

ماتياس: نعم يا أمّاه، و كان حديثي معه حول استعارتي كتاب أو اثنين.

كاثرين: لا تتحدّث إليه فهو منبوذ من الجنّة و إليك النقود أيها السيد. تعال دعنا نرحل من هنا.

ماتياس: أيها اليهوديّ تذكّر الكتاب.

باراباس: سأزوّجك يا سيّدي.

(تغادر كاثرين و ابنها ماتياس)

الضابط الأوّل: تعالوا فقد جنيت مالاً معقولاً . دعونا ننصرف.

(يغادر الضباط مع العبيد)

باراباس: و الآن قل لي ما اسمك و كل شيء عن ولادتك و حالتك و مهنتك.

إيثامور: صدقاً يا سيدي أصلي وضيع و اسمي إيثامور و عملي هو ما تشاء.

باراباس: أليس لديك عمل؟ إذن استمع إلى كلماتي و سأعلّمك ما عليك الالتزام به. أولاً، تخلّى عن هذه العواطف كالعطف و الحب و الأمل الفارغ و الخوف القاسي. لا تتأثر بأي شيء و لا تشفق على أي أحد. و لكن ابتسم لنفسك عندما يتألم المسيحيون.

إيثامور: أوه يا سيدي الشجاع سأعبد أنفك على ذلك.

باراباس: بالنسبة إليّ أمشي خارجاً في الليل، و أقتل المرضى الذين يئنون تحت الجدران و أحياناً أخرج و أسمّم الآبار و بين الحين و الآخر أدَلل اللصوص المسيحيين و أنا راض بخسارة بعض القطع النقدية فقد أراهم أثناء تجولي في قاربي بالقرب من باب منزلي. وعندما كنت شاباً درست الطبّ و بدأت أطبقه على الإيطاليين، و هناك أغنيت الكهنة بالقبور و جعلت أيدي الحانوتي دائماً مشغولة بحفر القبور و قرع نواقيس الموتى، و بعد ذلك أصبحت مهندساً في الحرب بين فرنسا و ألمانيا و تحت ذريعة مساعدة الملك تشارلز الخامس ذبحت الصديق و العدو من خلال خططيو بعد ذلك أصبحت مرابياً و بالابتزاز و الخداع و التزوير و أساليب الغش المتعلّقة بالسمسرة ملأتُ السجون بالمفلسين خلال سنة واحدة، و ملأتُ المستشفيات بالأيتام الجدد، وكل ليلة أجعل البعض مجنوناً ، و بين الحين و الآخر يشنق أحدهم نفسه حزناً بعد أن يكون قدّ علّق ورقة طويلة على صدره تظهر كم عذبته أنا بالفائدة ولكن انتبه! كيف أنني موهوب بتعذيبهم إذ عندي من المال ما يكفي لشراء المدينة برمتها، و لكن قل لي الآن كيف أمضيت حياتك؟

إيثامور: صدقاً يا سيدي أمضيت حياتي و أنا أحرق قرى المسيحيين، و أصفّد المخنثين وأوثق عبيد القوارب. و ذات مرة كنت سائس خيلٍ في أحد الفنادق، و تسللت إلى غرف المسافرين و قطعت أعناقهم،و مرّة أخرى في القدس حيث كان الحجّاج يركعون رشَشت بارودا على الحجارة القرميدية و عندها شعروا بألم شديد في رُكَبِهم لدرجة أنني انفجرت من الضحك و أنا أراهم معاقين يذهبون إلى بلدانهم المسيحية متكئين على عِ يّ.

باراباس: يا له من عمل خبيث حقاً . اعتبرني صديقك فكلانا وغد مختون، و نكره المسيحيين. كن صادقاً و كتوماً و لن تحتاج الذهب. نحّى جانباً ها قد جاء الدون لودوفيك.

يدخل لودوفيك

لودوفيك: أوه باراباس كم هو جميل لقاؤك!

أين الماسة التي أخبرتني عنها؟

باراباس: هي معي من أجلك يا سيدي. من فضلك تعال معي- أبيغيل! هيا افتحي الباب كما أقول!

تدخل أبيغيل ومعها رسائل

أبيغيل: في الوقت المطلوب يا أبتي إليك هذه الرسائل من أورموس و المراسل هنا في الداخل.

باراباس: أعطني الرسائل يا بنتي هل سمعتِ؟ و أكرمي لودوفيك ابن الحاكم بكل اللباقة التي تستطيعينها بشرط ألا تفقدي عذريتك.ستغلّيه كما لو كان جاهلاً. تظاهري له و أقسمي له و عديه بالحبّ فهو ليس من ذريّة إبراهيم الخليل **(يخاطبها انباً)** فأنا مشغول بعض الشيء يا سيدي اعذرني.أبيغيل رحّبي به بدلاً عني.

أبيغيل: من أجلك و من أجله فهو على الرحب و السّعة هنا.

باراباس: كلمة أخرى يا بنتي، بّليه و تحدثي معه بلطف و كاليهودي الخبيث اجعليه يطلب يدك للزواج قبل أن تخرجي. **(يخاطبها جانباً)**

أبيغيل: أوه ، يا أبتي و لكن حبيبي هو الدون ماتياس.

باراباس: أعلم ذلك و مع ذلك آمرك أن تغازليه (تطارحيه الغرام) افعلي ذلك فهذا ضروري. **(يخاطبها جانباً)** كلا قسماً بحياتي إنها يد عميلي و لكن ادخلي الآن و سأفكر بالتفسير.

(تدخل أبيغيل و لودوفيك إلى المنزل)

لقد جئت بتفسير موت لودوفيك.أرسل عميلي رسالة إليّ بأن التاجر الذي يدين لي بمائة برميل من الخمر قد فرّ.أعتقد هذا كثير جداً **(يطقطق أصابعه)** عندي مال كاف. و الآن من المؤكّد أنه يقبّل أبيغيل و هي تعده بالحب و هو يعدها بالحب أيضاً كماكان مؤكّداً أن السماء أمطرت بالمنّ على اليهود، و مؤكّد أنه سيموت هو و الدون ماتياس فقد كان والدهما عدويّ الرئيسي.

يدخل ماتياس

أين يذهب الدون ماتياس؟ توقف للحظة.

ماتياس: إلى أين ، إلى حبيبتي أبيغيل الجميلة؟

باراباس:أنت تعلم و لتشهد عليّ السماء أنني أنوي تزويج ابنتي بك.

ماتياس: أجل يا باراباس،و إلا تكون قد ظلمتني ظلماً شديداً .

باراباس: أوه معاذ الله أن يخطر ببالي أمر كهذا! أعذرني لأنني أبكي فابن الحاكم سيتزوج بأبيغيل شئتُ أنا أم أبيت، فهو يرسل إليها الرسائل و الأساور و المجوهرات و الخواتم.

ماتياس: و هل تستلمهم؟

باراباس: هي! كلا يا ماتياس، كلا بل تعيدهم إليه، و عندما يأتي تحبس نفسها بسرعة و مع ذلك يكلمها من خلال فتحة الباب، و هي تركض إلى النافذة و تنتظر قدومك لتبعده عن الباب.

ماتياس: أيها الخائن لودوفيك!

باراباس: حتى الآن عندما عدت إلى المنزل كان قد سبقني إليه، و أنا متأكد أنه مع أبيغيل الآن.

ماتياس:سأعنّفه إذن.

باراباس:ليس من أجل مالطا كلّها، لذلك أعد سيفك إلى غمده إن كنت تحبني. لا أريد شجاراً في منزلي،و لكن تسلل إلى الداخل و تظاهر أنك لا تراه و سأحذّره قبل خروجه و معه قليل من الأمل بالحصول على أبيغيل. ابتعد الآن فهاهما قادمان.

يدخل لودوفيك و أبيغيل من جديد

ماتياس: ما هذا يد بيد! لا يمكنني تحمُّل ذلك.

باراباس: إذا كنت تحبني لا تقل أية كلمة يا ماتياس!

ماتياس:سأدعها تمرّ. سيكون أمامي فرصة أخرى.

(يدخل إلى المنزل)

لودوفيك: باراباس أليس هذا ابن الأرملة؟

باراباس: أجل،و كن حذراً فقد أقسم على قتلك.

لودوفيك: قتلي! هل ذاك الفلاح وضيع الأصل مجنون؟

باراباس: كلا، كلا و لكنه ربما يخاف مما لم تحلم به أنت أبداً ، أي ابنتي تلك المجنونة و التافهة.

لودوفيك: لماذا؟أتحبُّ هي الدون ماتياس؟

باراباس: أليست تجيبك بابتسامتها؟

أبيغيل: قلبي ملكه فأنا أبتسم ضد إرادتي. **(جانباً)**

لودوفيك: تعلم يا باراباس بأنني أحببت ابنتك منذ فترة طويلة.

باراباس: و هي كذلك أحبّتك منذ كانت طفلة.

لودوفيك: و الآن لا يمكنني أن أسيطر على عقلي أكثر من ذلك.

باراباس: و لا أنا يمكنني السيطرة على المحبة التي أكنها لك.

لودوفيك: هل هذه هي ماستك، قل لي هل بإمكاني أن أحصل عليها؟

باراباس: اكسبها و ارتديها فهي ما تزال نقية. أوه لكنني أعلم أن مولاك سيمقت زواجك بابنة يهوديّ، و مع ذلك سأعطيها عدداً كبيراً من الصليب المزيّن بالورود المسيحية حول الخاتم.

لودوفيك: ليست ثروتك ما أتوق إليه، و لكنني أحترم ابنتك كثيراً و أتوق إلى موافقتك.

باراباس: لك موافقتي و لكن دعني أحدّثها – فهي من ذريّة "قابيل" لم تتذوّق قط طعم احتفال بيساش اليهودي و لن ترَ أبداً أرض كنعان و لا السيد المسيح الذي سيأتي، و هذا الحشرة - أعني لودوفيك - يجب خداعه. دعيه يحصل على يدك في الزواج و ابقِ قلبك إلى أن يعود الدون ماتياس. **(يخاطبها جانباً)**

أبيغيل: ماذا، هل تريدني أن أُخطَب للودوفيك؟

باراباس: خداع أحد المسيحيين ليس بالخطيئة لأنهم أي المسيحيين يعتقدون ذلك مبدأً .لا يجب أن يحمل المرء الإيمان و الهرطقة و لكن كل المهرطقين ليسوا يهوداً . هذه هي القاعدة لذلك لا تخافي يا بنتي. **(يخاطبها جانباً)** لقد توسّلت إليها و ستوافق.

لودوفيك: إذن يا أبيغيل أقسمي معي.

أبيغيل: لا يمكنني أن أختار، و أنا أرى أبي يطلب ذلك. لا شيء سوى الموت سيبعد حبيبي عنّي.

لودوفيك: و الآن لقد حظيت بما كانت روحي تتوق له.

باراباس:لم تحظَ بشيء، و لكنني آمل أنأحظَ (بما تتوق إليه روحي). **(انباً)**

أبيغيل: أوه يا أبيغيل التعيسة! ماذا فعلتِ؟ **(انباً)**

لودوفيك: لماذا تغيّر لونك فجأة؟

أبيغيل:لا أدري و لكن وداعاً عليّ أن أذهب.

باراباس: أبقها، و لكن لا تدعها تتفوه بأية كلمة أخرى.

لودوفيك:صمتتْ فجأة! يا له من تغيّر مفاجئ.

باراباس:أوه لا تفكّر بذلك فهذا مظهر اليهود وهذا بكاء العذارى المخطوبات حديثاً. لا تضايقها أيها الطيّب لودوفيك، ارحل فهي زوجتك و أنت ستصبح وريثي.

لودوفيك: أوه هل هذا هو العُرف؟ إذن فأنا مقتنع. و لكنني أفضّل أن تصبح السموات البرّاقة سوداء و يختنق جمال الطبيعة بغيوم خانقة على أن تعبس في وجهي أبيغيل الجميلة. ها قد جاء الوغد سأنتقم منه.

يدخل ماتياس من جديد

باراباس: اصمت يا لودوفيك. يكفي أنني جعلتك من نصيب أبيغيل.

لودوفيك:حسنٌ، دعه يذهب. **(يخرج)**

باراباس:حسنٌ، بالنسبة إليّلو كنتَ دخلتَ من الباب لكان قد طعنك، و لا كلمة الآن إذ لا يجب أن تُثار الأحاديث أوتُشحَذ السيوف هنا.

ماتياس:يعذّبني ألا ألحق به.

باراباس: كلا فلو قمت بأذيته سأكون شريكك في الجريمة، و لكن انتقم منه عندما تقابله مرة أخرى.

ماتياس: سأقتلع قلبه لقاء ذلك.

باراباس: افعل ذلك و سأعطيك أبيغيل!

ماتياس: أيّة هدية أفضل من ذلك يمكن أن يحصل عليها ماتياس المسكين؟

هل سيحرمني لودوفيك من حبٍّ جميل كهذا؟ فحياتي ليست أغلى من أبيغيل.

باراباس: لا يطاوعني قلبي في تحطيم حبّك. هو (لودوفيك) مع أمّك اذهب وراءه.

ماتياس: ماذا هل ذهب إلى أمي؟

باراباس: كلا، إن شئت انتظر حتى تأتي هي بنفسها.

ماتياس: لا يمكنني البقاء فإذا جاءت أمي ستموت من الحزن. **(يغادر)**

أبيغيل: لا يمكنني أن أستأذن منه بسبب بكائي. أبي،لماذا قلّبتهما على بعض.

باراباس:و ما علاقتكِ بذلك؟

أبيغيل: سأجعل منهما صديقين من جديد.

باراباس: ستجعلينهما صديقين! أليس هناك يهود بما يكفي في مالطا حتى تـ شقي مسيحياً؟

أبيغيل:سأتزوّ ج بالدون ماتياس فهو حبّي.

باراباس:أجل ستتزوّ جين به. اذهب و احبسها.

إيثامور: نعم، سأحبسها. **(يحبس أبيغيل)**

باراباس: و الآن يا إيثامور، قلّ لي ما رأيك بهذا؟

إيثامور: صدقاً يا سيدي، أعتقد أنك بهذه الطريقة تشتري روحيهما معاً ، أليس كذلك؟

باراباس: صحيح، وسأقوم بذلك بطريقة خبيثة.

إيثامور:أوه يا سيدي هلاّ أشركتني بذلك!

باراباس: نعم فأنت من سيقوم بذلك. خذ هذه و أوصلها إلى ماتياس في الحال. **(يعطيه رسالة)** و قل له أنها من لودوفيك.

إيثامور: هي مسمومة أليس كذلك؟

باراباس: كلا، كلا، مع أنه من الممكن القيام بهذه الطريقة.إنه تحدٍ مزوّ ر من لودوفيك.

إيثامور:لا تخاف سأحرق قلبه بحيث يحسب أنها فعلاً من لودوفيك.

باراباس: لا يمكنني أن أختار إلا استعدادك، و لكن لاتتهوّ ر، و قم بها بخبث شديد.

إيثامور:إذا أحسنتُ القيام بها استخدمني فيما بعد.

باراباس: اذهب إذن! **(يغادر إيثامور)**

و الآن سأذهب إلى لودوفيك، و كشيطان خبيث، أبتكر كذبة كي أضعهما في عداء شديد. **(يغادر)**

الفصل الثالث

تدخل بيلاميرا (المومس)

بيلاميرا: منذ حصار هذه المدينة و ربحي يتناقص. كان هناك وقت يعطي الزبون مائة قطعة نقدية مقابل ليلة واحدة فقط، و لكن عليّ الآن أن أصبح طاهرة عفيفة عكس رغبتي مع أنني أعلم أن جمالي ليس هو السبب، فقد كان التجار يأتون من البندقية و باداوا و السادة العباقرة أعني العلماء المتعلمين و الليبراليين أما الآن لا أتي أحد باستثناء بيليابورزا القوّاد و نادراً ما يفارق منزلي و هاهو يأتي.

يدخل بيليابورزا

بيليابورزا: انظري أيتها المومس إليك شيئاً ما كي تصرفيه. **(يريها كيساً من الفضّة)**

بيلاميرا: إنه فضّة و أنا أمقت الفضّة.

بيليابورزا: أجل و لكن اليهودي لديه الذهب و سأحصل عليه و إلا سأندم كثيراً .

بيلاميرا: و لكن قلّ لي كيف حصلت عليها؟

بيليابورزا: في الحقيقة كنت أمشي في الأزقة الخلفية عبر الحدائق فرأيت مصادفة غرفة حسابات اليهودي حيث رأيت بعض أكياس المال، و في الليل تسلّقت إليها بمساعدة كلاّباتي، و عندما كنت أختار سمعت صوتاً حاداً في المنزل لذلك لم آخذ إلا هذا الكيس و هربت ولكن هاهو خادم اليهودي.

بيلاميرا: خبئ الكيس.

يدخل إيثامور

بيليابورزا: لا تنظري إليه دعينا نذهب. يا لك من حيوان بهذا المنظر! لن تخيّب أحداً بذلك المنظر.

(تغادر بيلاميرا و بيليابورزا)

إيثامور: أوه إنّه أجمل وجه رأيته في حياتي! أعلم من لباسها أنها مومس. أنا مستعد أن أعطي مائة قطعة ذهبيّة من مال اليهودي مقابل الحصول على مثل هذه العاهرة. حسنٌ ،لقد سلّمت الرسالة بحيث سيتقابلان و يتقاتلان حتى الموت. يا لها من مواجهة شجاعة. **(يغادر)**

يدخل ماتياس

ماتياس: هذا هو المكان و سترى أبيغيل إذا كان ماتياس يحبّها أو لا.

يدخل لودوفيك

كيف يجرؤ الوغد على كتابة مثل هذه العبارات الوضيعة؟ **(ينظر إلى الرسالة)**

لودوفيك: أنا من كتب ذلك. انتقم لو كنت تجرؤ! **(يتقاتلان)**

يدخل باراباس

باراباس: أوه، إنهما يتقاتلان بشجاعة و لكن دون إصابات مميتة. الآن لودوفيك و الآن ماتياس. **(كلاهما يسقط)** و هكذا أثبتا أنهما رجلان سريعان. **(صرخات من الداخل)** فرّقوهما عن بعض، فرّقوهما!

باراباس: أجل افصلوهما عن بعض فهما ميتان الآن, وداعاً، وداعاً. **(يغادر)**

يدخل الحاكم فيرنيز و كاثرين و مرافقون

فيرنيز: ما هذا المنظر؟ ابني لودوفيك مقتول؟ ذراعيّ هذان من سيكفنك!

كاثرين: من هذا؟ ولدي ماتياس مقتول؟

فيرنيز: أوه عزيزي لودوفيك لو كان الأتراك قتلوك لكان من الممكن أن أنتقم لموتك!

كاثرين: ولدك قتل ابني. سأنتقم لموته.

فيرنيز: انظري، انظري يا كاثرين لقد سبب ابنك هذه الطعنات لابني.

كاثرين: أوه، دعني لحزني فأنا حزينة بما يكفي.

فيرنيز: أوه، يا ليت تنهُّي يتحول إلى نَفَس و دموعي تتحول إلى دم على أن يعيش!

كاثرين: من جعلهم أعداء؟

فيرنيز: لا أدري و هذا ما يحزنني أكثر.

كاثرين: لقد أحبّ ولدي ولدك.

فيرنيز: و كذلك لودوفيك أحبّ ولدك.

كاثرين: أعطني السيف الذي أردى ولدي قتيلاً و سأنحر نفسي.

فيرنيز: كلا يا سيدتي! توقّفي! فذلك كان سيف ابني و عليه أفضّل أن أموت.

كاثرين: انتظر! دعنا نتحرّى عن مفتعلي موتهم فقد نستطيع أن نصب دماءهم على رؤوسهم.

فيرنيز: إذن احملوهما و ادفنوهما في قبر واحد من الحجر و على مذبحهما سأقدّم قرباناً من الدموع و التنهدات و سأثقب السموات العادلة بصلواتي إلى أن تبوح لي بمسببيأحزاننا و بمن فرّق قلبيهما المتوحّدين. تعالي يا كاثرين فخسارتنا متساوية و لنأخذ قسمتنا المتساوية من الحزن الحقيقي.

(يغادرون مع الجثتين)

يدخل إيثامور

إيثامور: هل يوجد مثل هذا الخبث بهذه الحبكة و هذا الإنجاز؟ كلاهما كان يأمل كثيراً و كلاهماكان مخدوعاً جداً.

تدخل أبيغيل

أبيغيل: ما القصّة يا إيثامور؟ لماذا تضحك عالياً هكذا؟

إيثامور: أوه يا سيدتي! ها،ها،ها!

أبيغيل: ما الذي يؤلمك؟

إيثامور: أوه، سيدي!

أبيغيل: آه!

إيثامور: أوه يا سيدتي! لديّ أخطر و أعظم سرّ وغد و خبيث من سيدي لم يحصل عليه أيّ سيد نبيل!

أبيغيل: قل أيها الوغد لماذا تذكر أبي بهذه الطريقة؟

إيثامور: أوه لدى سيدي أجرأ خطّة!

أبيغيل: أين؟

إيثامور: لماذا؟ ألا تعلمين؟

أبيغيل: كلا، لماذا؟

إيثامور: ألا تعلمين بمأساة ماتياس و لودوفيك؟

أبيغيل: كلا، و ما هي؟

إيثامور: لقد اختلق الشيطان تحدياً كتبه سيدي، و أنا حملته إلى لودوفيك و من ثم إلى ماتياس. ثم تقابلا و كما تقول القصة تقلا قتالاً عنيفاً أودى بحياتهما.

أبيغيل: و هل كان أبي سبب موتهما؟

إيثامور: هل أنا إيثامور؟

أبيغيل: نعم.

إيثامور: إذن، بالتأكيد أبوك من كتب التحدي و أنا أوصلته.

أبيغيل: حسن يا إيثامور دعني أطلب منكأمراً : اذهب إلى الدير الجديد و اسأل عن أي راهب من رهبان القديس جاك و اطلب إليهم أن يأتوا للحديث معي.

إيثامور:أرجوكِ يا سيدتي هل تجيبين على سؤالي؟

أبيغيل:حسنٌ يا سيد ما هو؟

إيثامور:سؤال حسّاس جداً . هل تتبادل الرّاهبات الحبّ مع الرّهبان من حين لآخر؟

أبيغيل: اذهب الآن أيها الخادم الوقح! هل هذا سؤالك؟ انصرف الآن.

إيثامور: سأذهب بالتأكيد يا سيدتي. **(يغادر)**

أبيغيل: أبي اللئيم و القاسي باراباس!هل كان هذا من صنيعك كي تجعلني أُظهر لهما المعروف مراراً و يذبح بعضهما الآخر بهذا المعروف؟ أعترف أنك لم تحب لودوفيك بسبب أبيه مع أن الدون ماتياس لم يسيء إليك قط. و لكنك كنت مصمماً على الانتقام المفرط لأن الأوّل جرّدك من ممتلكاتك ذات مرة و لم تتمكن من الثأر لذلك إلا من خلال ابنه و لم تتمكن من ابنه إلا بواسطة ماتياس و لم تتمكن من ماتياس إلا بقتلي.لكنني لا أؤمن بوجود حبّ في الأرض. ليس لليهود شفقة و ليس للأتراك دين. ها قد جاء الملعون إيثامور مع الراهب.

يدخل إيثامور من جديد مع الراهب جاكومو

الراهب جاكومو: أيتها العذراء ارتاحي.

إيثامور: أين اختبأت ِ ِ ؟

أبيغيل: أهلاً أيها الراهب الجليل! انصرف الآن يا إيثامور. **(يغادر إيثامور)**

أعلمُ يا سيدي الراهب أنني وقحة إذ أسألك أمراً.

الراهب جاكومو: ما هو؟

أبيغيل: أريدك أن تقبَلني كراهبة.

الراهب جاكومو: لماذا يا أبيغيل؟لم يمض وقتٌ طويل منذ أن وافقتُ على منحك القبول، ثم لم تعجبك حياتنا الدينية.

أبيغيل: كانت أفكاري هشّة جداً آنذاك و غير ثابتة لأنني كنت مكبّلة بِدعِ العالم، و الآن جعلتني التجربة التي اشتريتها بالحزن أرى الفرق في الأمور فقد ألقت روحي الآثمة منذ وقت طويل مع الأسف شرك الكفر المميت بعيداً عن الشمس التي تعطي الحياة الأزلية!

الراهب جاكومو: من علّمك هذا؟

أبيغيل: الأم في الدير التي أقبلُ صحبَها الحثيث. أوه، دعني أصبح راهبة يا جاكومو مع أنني لا أستحق لقب الأخت!

الراهب جاكومو: سأفعل يا أبيغيل و لكن انتبهي لا ارتداد بعد الآن لأن ذلك سيكون ثقيلاً جداً على روحك.

أبيغيل: كان ذلك ذنب أبي.

الراهب جاكومو: ذنب أبيك! كيف؟

أبيغيل: كلا، عليك أن تعذرني. أوه يا باراباس مع أنك تستحق ذلك مني بقوة و لكن لن تقض ِ شفتاي هاتان على حياتك! **(جانباً)**

الراهب جاكومو: تعالي، هلا ذهبنا؟

أبيغيل: واجبي أن أطيعك. **(يغادران)**

يدخل باراباس وهو يقرأ رسالة

باراباس: ماذا هل أصبحت أبيغيل راهبة من جديد!هل تخلّيتِ عن أبيك أيتها الغشّاشة اللئيمة؟ كل ذلك بسبب جهلي و عدم مراقبتي. هل ذهبت مرة أخرى إلى

الدير؟ و تكتب هنا أنها تريدني أن أتوب. أتوب! اللعنة! ماذا تقصد بذلك؟ أخشى أنها تعلم أنّ موت الدون لودوفيك و ماتياس من صنعي. إن كان الأمر كذلك فقد حان الوقت كي أتبصّر لأنها اختلفت عني في العقيدة، و هذا يجعلني أفترض بأنها لا تحبّني، أو أنها تحبّني و تكره ما فعلت، ولكن من هذا القادم إلى هنا؟

يدخل إيثامور

أوه، إيثامور اقترب، اقترب يا حبيبي، اقترب يا عمري و يا خادمي الأمين، لا بل روحي الثانية لأنه لا أمل لي إلا بك، و على هذا الأمل سعادتي مبنية. متى رأيتَ أبيغيل؟

إيثامور: اليوم.

باراباس: مع من؟

إيثامور: مع راهب.

باراباس: راهب! وغد مخادع، هو من فعل فعلته.

إيثامور: كيف يا سيدي!

باراباس: لقد حوّل ابنتي أبيغيل إلى راهبة.

إيثامور: هذا صحيح فقد أرسلتني إليه.

باراباس: يا ليومي التعيس! أبيغيل أيتها المخادعة و الساذجة و الخائنة! دعهما يذهبان، و من الآن فصاعداً يا إيثامور لن تحزن هي عليّ في خزيها و لن تحيا لترث قرشاً واحداً منيّ و لن أرضَ عنها و لن تأتِ إلى بيتي. فلتمتْ تحت لعنتي القاسية كما لعن آدم ابنه قابيل على قتل أخيه (هابيل).

إيثامور: أوه سيدي-

باراباس: إيثامور، لا تتشفّع لها لأنني حزمت أمري، فأنا و روحي نكرهها، و لولا أنك فعلت ما طلبت إليك لما اعتقدت إلا أنك تكره حياتي أيضاً .

إيثامور: نَعْ أنا يا سيّدي؟ كيف؟ سأركض إلى أعلى صخرة و أرمي نفسي إلى البحر مباشرة، لماذا؟ سأفعل أي شيء لأجل خاطرك الطيّب.

باراباس: أوه يا إيثامور الأمين! لست خادمي بل صديقي! أنا هنا أتبناك وريثي الوحيد فكل ما أملك سيصبح لك عندما أموت و أثناء حياتي استخدم نصف ثروتي

و أنفقْ مثلي. خذ هذه مفاتيحي سأعطيك إياها الآن اذهب و اشتري لنفسك ثياباً، مع أنّك لن تحتاج ذلك، و لكن اعلم بأنك ستفعل ذلك، و لكن أولاً اذهب و أحضر لي دِرْ الرز فعشاؤنا ينتظر على النار.

إيثامور: أنا أصغي جيداً . سيّدي جائع **(انباً)** أنا ذاهب يا سيدي. **(يخرج)**

باراباس: و هكذا كلّ وغد يتوق إلى الثروةمع أنه لن يصبح ثرياً أبداً إلا بالأمل. و لكن صمتاً !

يدخل إيثامور من جديد ومعه القِدْر

إيثامور: تفضّل يا سيدي.

باراباس: كلام جميل يا إيثامور! هل أحضرت المغرفة معك أيضاً؟

إيثامور: أجل يا سيدي فالمثل يقول: "من يأكل مع الشيطان يحتاج ملعقة طويلة". لقد أحضرتُ لك المغرفة.

باراباس: أحسنت يا إيثامور، إذن كن كتوماً و لأجلك و لأني أحبك جداً سترى الآن موت أبيغيل بحيث تعيش أنت مرتاحاً لكونك وريثي.

إيثامور: ماذا يا سيدي هل ستسمّمها بصحن من الرز؟ ذلك سيحفظ حياتها و يجعلها منتفخة وبدينة و سمينة أكثر مما تعلمُ .

باراباس: أجل و لكن انظر يا إيثامور! إنه مسحوق ثمين اشتريته من إيطالي في "أنكونا" ذات مرة و مفعوله قوي بحيث يثبّت و يصيب و يصل سمّه عميقاً و مع ذلك لا يظهر إلا بعد أربعين ساعة من تناوله.

إيثامور: كيف يا سيديّ؟

باراباس: هكذا يا إيثامور. هذا يستخدمونه حتى في مالطا هنا و يسمى "القديس جاك". أقول إنهم يستخدمونه لإرسال صدقاتهم إلى دير الراهبات بين البقية. احمل هذا و ضعه هناك إذ يوجد مدخل مظلم حيث يدخلونه فلا يرون الرسول و لا يتساءلون عـّن أرسله إليهم.

إيثامور: كيف ذلك؟

باراباس: أعتقد هناك طقس ما فيه. خذ يا إيثامور عليكأنْ تذهب و تضع هذا القدر. انتظر دعني أضع عليه بعض التوابل.

إيثامور: أرجوك افعل ذلك و دعنيأساعدك يا سيدي أرجوك دعني أتذوقه أولاً .

باراباس: أرجوك تذوّق. **(يتذوقه إيثامور)** ما رأيك الآن؟

إيثامور: في الحقيقة يا سيدي أكره أن نفسد طبقاً شهياً كهذا.

باراباس: يا سلام يا إيثامور! الأفضل أن يكون هكذا على أن نوقّره **(يضع المسحوق في القِدْر)** تأكد أنك ستحظى بمالي و خزينتي و ستحظى بي أيضا.

إيثامور: حسن يا سيدي أنا ذاهب.

باراباس: انتظر! دعني أحرّكها أولاً يا إيثامور و لتكن مميتة كالحساء الذي شربه الإسكندر (المقدوني) الكبير و مات. و ليكن فِعْلُ السم فيها كخمر "بورجيا" الذي سمّم به سيده البابا. و باختصار، ليخرج دم "هيدرا" و ألم "ليما" و عصير سمّ الأبنوس و زفير نهر "كوسيتاس" في الجحيم و كل سمومه لتخرج من الجحيم، و تضعفيه سمّك و تسمّمها لأنها، كالشيطان، تركت أباها هكذا .

إيثامور: يا للبركة التي منحها! هل تُبَّل أي قدر من الرز بمثل هذه التوابل؟ **(جانباً)**

ماذا سأفعل به؟

باراباس: حبيبي إيثامور، اذهب و ضعه هناك و عُد إليّ بسرعة عندما تنتهي فعندي لك عمل آخر.

إيثامور: هذا سمّ يكفي لقتل حظيرة خيول مقاطعة "فلاندرز" بكاملها. سأحمله إلى الراهبات مع المسحوق.

باراباس: و سمّم الأحصنة أيضاً . انصرف!

إيثامور: أنا ذاهب. ادفع لي أتعابي لأنني قمت بالعمل. **(يغادر مع القدر)**

باراباس: سأدفع لك و زيادة يا إيثامور! **(يغادر)**

يدخل فيرنيز و مارتن دو بوسكو و فرسان و باشا تركي

فيرنيز: أهلاً بالباشا العظيم. كيف حال كاليماث؟ أي ريح حملتك إلى طرق مالطا؟

الباشا: الريح التي تبُثّ في أرجاء العالم حُبّ الذهب.

فيرنيز: حُبّ الذهب يا سيدي العظيم! هذا يمكن أن تحصل عليه شرقي الهند. أمّا في مالطا فلا يوجد مياه ذهبية.

الباشا: يقول كاليماث: أنتم يا سكان مالطا! المهلة التي طلبتموها انتهت، و لم تنجز وعدك بدفع مال الجزية و أنا مرسل من أجل ذلك.

فيرنيز: باختصار أيها الباشا لا جزية لكم عندنا، و لن يعيش الكفّار على أرضنا. أولاً سندمّر جدران المدينة بأنفسنا و ندمّر الجزيرة و ندكّ المعابد، و سنفتح مدخلاً للبحر ليلتهم الجزيرة المدمّرة و نشحن بضاعتنا إلى صقلية و سيفتح البحر فكّيه و يبتلعها ضارباً ضفّتيها المستسلّمتين.

الباشا: حسنٌ ، أيها الحاكم بما أنك خرقت الحلف بنكرانك الفادح للجزية الموعودة لا تتحدّث عن تدمير جدران مدينتك فلن تحتاج أن تزعج نفسك بذلك لأن سليم كاليماث سيأتي بنفسه، و سيدمّر بروجكم بعيارات نارية نحاسية، و يحول مالطا المغرورة إلى يباب بسبب أخطاءك التي لا تُحتَمل. لذلك وداعاً .

فيرنيز: وداعاً **(يغادر الباشا)** و الآن يا رجال مالطا احترسوا و دعونا نستعدّ للترحيب بكاليماث: أغلقوا مرفأكم و لقّموا مدافعكم و أثناء تسليحكم المفيد واجهوهم ببسالة فبهذا الجواب انحلّ الميثاق الذي بيننا، و لا شيء نبحث عنه سوى الحروب و لا شيء نرحّب به أكثر من الحروب.

(يغادر)

يدخل الراهب جاكومو و الراهب بارناردين

الراهب جاكومو: أوه، أخي، أخي كل الراهبات يتقيأن. و لن يفيدهن الطبيب! سيمتن.

الراهب بارناردين: لقد أرسلتْ في طلبي الأمُّ رئيسة الدير لتعترف. أوه، يا له من اعتراف حزين!

الراهب جاكومو: لذلك أرسلتْ في طلبي الأخت ماريا سأذهب إليها حيث تسكن. **(يغادر)**

تدخل أبيغيل

الراهب بارناردين: ماذا؟ الكل ماتوا ما عدا أبيغيل!

أبيغيل: و أنا سأموت أيضاً ، فأنا أشعر بقدوم الموت. أين الراهب الذي تحدّث معي؟

الراهب بارناردين: لقد ذهب لرؤية الراهبات الأخريات.

أبيغيل: لقد أرسلت في طلبه، و لكن بما أنك أتيت فلتُن أبي الروحي و لتعلمْ أولاً أنني عشت في هذا البيت عيشة متدينة فكنت طاهرة و متعبّدة و نادمة كثيراً على ذنوبي و لكن قبل مجيئي-

الراهب بارناردين: ماذا حصل؟

أبيغيل:أهنت الله العليّ إهانة مشينة لذلك فأنا تقريباً يائسة من ذنوبي، و لكن هناك ذنبٌ اقترفته يعذّبني أكثر من غيره. هل تعرف الدون ماتياس و الدون لودوفيك؟

الراهب بارناردين: نعم وماذا عنهما؟

أبيغيل: عقد أبيقراني عليهما معاً .أولاً على الدون لودوفيك الذي لم أحببه قط ثمّ ماتياس وهو الرجل الذي أحببت كثيراً و لأجله أصبحت راهبة.

الراهب بارناردين: أخبريني كيف كانت نهايتهما؟

أبيغيل: كلاهما حسد الآخر بدافع الغيرة على حبّي، و برسالة من أبي هذه هي **(تعطيه الرسالة)** كتبها بمكر دفعَ الشجاعين لذبحِ بعضهما بعضاً .

الراهب بارناردين: أوه، يا للخبث الوحشيّ!

أبيغيل: كي أرقد بسلام اعترف بهذا إليك فلا تخبر به أحداً كي لا يموت أبي.

الراهب بارناردين: اعلي أن هذا الاعتراف سيبقى سرّاً فقانون العقيدة يحرّم ذلك، والقسّ الذي يبوح به سيُحْتقر أولاً ثمّ يُلعن و يُقذف في النار.

أبيغيل: و هذا ما سمعته أنا.أرجوك لا تبحْ به فالموت يعصر قلبي آه أيها الراهب الطيب أهدأبي إلى المسيحية لعلّه ينجو و اشهد بأنني أموت مسيحية. **(تموت)**

الراهب بارناردين:أجل و عذراء أيضاً ، و هذا ما يؤلمني أكثر. ليّ أن أذهب إلى اليهودي و أصرخ عليه ليخاف منّي.

يدخل الراهب جاكومو من جديد

الراهب جاكومو: أوه يا أخي ماتت كلّ الراهبات! دعنا ندفنهن!

الراهب بارناردين:أولاً ساعدني على دفن هذه، ثم ساعدني في الاحتجاج على اليهودي.

الراهب جاكومو: لماذا؟ ماذا فعل؟

الراهب بارناردين: فعل شيئاً يجعلني أرتجف إن بحت به.

الراهب جاكومو: ماذا هل صلب طفلاً؟

الراهب بارناردين: كلا، و لكن أسوأ من ذلك. شيء علمته من اعتراف و تعلم أنني إن بُحت به سأموت. تعال دعنا ننصرف.

الفصل الرابع

يدخل باراباس و إيثامور ويُسمع صوت الأجراس في الداخل

باراباس: ليس هناك موسيقى لنعي المسيحيين. كم هو عذب صوت الأجراس على موت الراهبات. هذا الصوت يشبه قرقعة القدور في غير هذه الأوقات. كنت أخشى ألا يعمل السمّ عمله، أو أن يعمل بدون فائدة، فكل عام ينتفخن و لا يمتن و لكن كلّهن الآن ميتات و لم تبقَ واحدة منهن على قيد الحياة.

إيثامور: يا لك من شجاع يا سيدي، و لكن هل تظن أن ذلك سينكشف؟

باراباس: كيف إذا تكتّمنا على الأمر؟

إيثامور: من جهتي لا تخف.

باراباس: سأقطع عنقك إن فعلت ذلك.

إيثامور: و رأسي أيضا. و لكن هناك دير ملكية أخرى للرهبان قريبة من هنا. دعني يا سيدي الفاضل أسممّ كلّ الرهبان.

باراباس: ليس عليك فعل ذلك فبعد موت الراهبات سيموت الرهبان من شدّة الحزن عليهن.

إيثامور: ألا تحزن على موت ابنتك؟

باراباس: كلا، و لكنْ أحزن لأنها عاشت هذه الفترة الطويلة يهودية المولِد و أصبحت مسيحية: َ َمٌ سخيف!

إيثامور: انظر يا سيدي، انظر ها قد جاء يسروعان متديّنان.

يدخل الراهب جاكومو و الراهب بارناردين

باراباس: شممتهما قبل مجيئهما.

إيثامور: ليرحمنا الله دعنا ننصرف.

الراهب بارناردين: توقّف أيها الشرير اليهودي تُب كما أقول و توقّف.

الراهب جاكومو: لقد أذنبتَ و ستُلعن.

باراباس: أخشى أنهما يعلمان بأننا أرسلنا القِدْر المسموم.

إيثامور: و أنا كذلك يا سيدي لذلكتكلّم معهما بلطف.

الراهب بارناردين: باراباس أنت -

الراهب جاكومو: أجل أنت -

باراباس: صحيح، أنا عندي مال. و لكن ماذا لدي؟

الراهب بارناردين: أنت –

الراهب جاكومو: أجل أنت-

باراباس:ما ضرورة ذلك؟ أعلم أنني يهوديّ.

الراهب بارناردين: ابنتك –

الراهب جاكومو: أجل ابنتك –

باراباس:لا تتكلما عنها و إلا متُّ حزناً.

الراهب بارناردين:تذكّر –

الراهب جاكومو:أجل تذكّر –

باراباس:علي أن أقول أنني كنت مرابياً كبيراً.

الراهب بارناردين: لقد ارتكبت –

باراباس: الزنا، و لكن كان هذا في بلد آخر، و علاوة على ذلك المومس ميتة.

الراهب بارناردين: أجل،و لكن يا باراباس تذكّر ماتياس و الدون لودوفيك.

باراباس: لماذا؟ ماذا عنهما؟

الراهب بارناردين:لن أقول أنهما تقابلا بتحدٍ مزيّف.

باراباس:لقد اعترفت و انتهى أمرنا يا صديقي العزيز و لكن عليّ أن أتظاهر **(يخاطب إيثامور جانباً)**

أوه أيها الراهبان الفاضلان أرجوكما أخبراني هل تأخّرت على اعتناق المسيحية فروحي مثقلةبوزر ذنوبي؟ لقد كنت متعصّباً للعقيدة اليهودية و قاسي القلب مع الفقراء و كنت شقياً حقوداً و بحب المال بعت روحي. أخذت مائة مقابل مائة و الآن في خزينتي ثروة تعادل ثروة كل يهود مالطا، و لكن ما فائدة الثروة؟ فأنا يهودي

و لذلك فأنا ضال. هل تنفع التوبة كي أكفّر عن ذنبي هذا فأنا مستعد أن أُجْلَد حتى الموت.

إيثامور: و أنا أتحمّل ذلك ولكنّ التوبة لن تنفع.

باراباس: سأصوم و أصلّي و ألبس قميصاً من الشعر و أزحف على ركبي إلى القدس. سأعطي كل ما أملك كي أعمَّد و أصبحَ مسيحياً و أحيا بينكم. سأعطيكم أقبية مليئة بالخمر و سقيفة مليئة بالقمح و مستودعات مليئة بالتوابل و العقاقير و خزناً مليئة بالذهب و الحلي و القطع النقدية بالإضافة إلى كميات لا أعرف وزنها من اللؤلؤ الشرقي المدوّر عندي في منزلي، و عندي في الإسكندرية بضائع لا حصر لها والبارحة غادرت سفينتان منها و فيهما حمولة بقيمة عشرة آلاف قطعة ذهبية و لي ديون في فلورنس و البندقية و أنتورب في بلجيكا و لندن و أشبيليا و فرانكفورت و لوبيك و موسكو وأماكن أخرى، و في هذه البلدان لدي أموال طائلة في البنوك.سأتبرّع بكل ذلك لبيت عبادة أو دير.

الراهب جاكومو: أوه أيها الطيب باراباس تعال إلى ديرنا.

الراهب بارناردين: كلا، يا باراباس الطيب تعال إلى ديرنا. و أنت تعلم يا باراباس-

باراباس: أعلم أنني أخطأت كثيراً ،و عليك أن تجعلني مسيحياً و ستحصل على كل ثروتي.

الراهب جاكومو: أوه يا باراباس قوانينهم صارمة!

باراباس: أعرف و سأذهب معك.

الراهب بارناردين: لا يلبسون قمصاناً و يمشون حفاة أيضاً .

باراباس: إذن هذا لا يناسبني فأنا عازم على الاعتراف إليك، و سأعطيك كل ثروتي.

الراهب جاكومو: أيها الطيب باراباس تعال معي.

باراباس: ما رأيك أن أجيبه، و هو يبقى. خلّصني منه، و اذهب معي إلى البيت.

الراهب جاكومو: سأكون عندك الليلة.

باراباس: تعال إلى بيتي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

الراهب جاكومو: اسمع جوابك و انصرف إلى بيتك.

الراهب بارناردين: لماذا؟ اذهب أنت و انصرف.

الراهب جاكومو: لن أذهب بدلاً عنك.

الراهب بارناردين: لن تذهب! سأجبرك على الرحيل.

الراهب جاكومو: كيف! هل تنعتني بالمحتال؟

يتقاتلان

إيثامور: فرّقهما يا سيدي، فرقهما.

باراباس: هذا ضعف أخلاقي أيها الأخوان اقنعا!- اذهب أيها الراهب مع إيثامور تعرف رأي. دعني معه لوحدنا.

الراهب جاكومو: لماذا يذهب هو إلى منزلك؟ دعه ينصرف-

باراباس: سأعطيه شيئاً ما و أغلقُ فمه.

(يغادر إيثامور برفقة الراهب بارناردين)

لم أسمع قط بأي رجل أساء إلى كهنوتية الرهبان إلا هو (الراهب بارناردين)، و لكن هل تظن أنني أصدّق كلامه؟ لقد جعلتَ أبيغيل مسيحية، و أنا ملتزم برد هذا الإحسان إليك و سأفعل. تعال يا جاكومو ولا تتردد يا جاكومو.

الراهب جاكومو: و لكن يا باراباس من سيكون عرّابيك لأنه يجب منحك الغفران في الحال.

باراباس: ابتهج فالتركي (إيثامور) سيكون أحد عرّابيّ و لكن لا تتفوّه بكلمة في ديرك.

الراهب جاكومو: أنا أضمنك يا باراباس. **(يغادر)**

باراباس: و الآن زال الخوف، و أنا في أمان فالذي منحها الغفران هو في منزلي ماذا إن أنا قتلته قبل عودة جاكومو؟ و الآن عندي خطة لأنهي حياتهما معاً لا يعرفها يهودي أو مسيحي أبداً .أحدهما حوّل ابنتي إلى مسيحية و سيموت لأجل ذلك و الآخر يعرف بما يكفل الإطاحة بحياتي، لذلك لا ينبغي أن يعيش. و لكن ألا يفترض هذان الرجلان الحكيمان أني سأترك بيتي و بضائعي و ثروتي كلّها كي أصوم و أُجْلد جلْداً مبرحاً؟ الآن أيّها الراهب بارناردين أنا قادم إليك سأطعمك

و أُسكنك و أسمعككلاماً لطيفاً ، و بعد ذلك أنا و خادمي التركي الأمين سنجهز عليك. يجب القيام بذلك، و سنقوم به.

يدخل إيثامور

إيثامور، أخبرني هل الراهب نائم؟

إيثامور: نعم، و لا أعرف لماذا، و لكنني فعلت ما بوسعي إلا أنه رفض أن يخلع ملابسه أو يذهب إلى النوم فقد نام في ثيابه. أخشى أنه يشك بما ننوي فعله.

باراباس: كلا، بل هم يستخدمون الكهنوتية،و مع ذلك لو أنّه يعرف نوايانا فهل يمكنه الهرب؟

إيثامور:كلا، لا يمكن لأحد أن يسمعه حتى و إن صرخ بصوت عالٍ .

باراباس: صحيح، لذلك وضعته هناك فالغرف الأخرى أبوابها على الشارع.

إيثامور: تمهّل يا سيدي. لماذا ننتظر هكذا؟ أوه، كم أتوق لرؤيته و هويهزّ كعبيه.

باراباس: تعال يا غلام! انزع حزامك و اصنع حلقة جميلة منه.-

(ينزع إيثامور حزامه و يربط حلقة فيه)

استيقظ أيها الراهب.

(يضعان الحلقة حول عنق الراهب)

الراهب بارناردين: ماذا هل تنوي خنقي؟

إيثامور: أجل لأنك اعتدت على الاعتراف.

باراباس: لا تُلق باللوم علينا بل على المثل القائل:"اعترف و ستُشنق".اسحب بقوّة.

الراهب بارناردين: ماذا! هل ستقتلني؟

باراباس:اسحب بقوّة.-كنتَ تنوي الحصول على ثروتي.

إيثامور:أجل و حياتنا أيضاً لذلك اسحب بقوّة.

(يشنقان الراهب)

فعلنا ذلك بإتقان،و لا وجود لأيّ أثر على الإطلاق.

باراباس: إذن!تمّ كما ينبغي. خذه إلى فوق.

إيثامور: كلا يا سيدي دعني أقودك قليلاً . **(يأخذ الجثة و يوقفها على الجدار و يضع في يده عصا.)** دعه يتكئ على عصاه. ممتاز!يقف كما لو كان يتسوّل لحمَ خنزير.

باراباس: من لا يصدّق أن هذا الراهب على قيد الحياة؟ كم هي الساعة الآن يا عزيزي إيثامور؟

إيثامور: قريبة من الواحدة.

باراباس: إذن ليس جاكومو بعيداً عن هنا.

(يخرج)

يدخل الراهب جاكومو

الراهب جاكومو: هذه هي الساعة التي سأنجح فيها. أوه أيتها الساعة السعيدة حيث سأهدي كافراً إلى المسيحية، و أحضر كنزه إلى خزينتنا!و لكن مهلاً ! أليس هذا بارناردين؟ إنه هو و لأنه يعرف أنني سآتي من هذا الطريق يقف هنا عن قصد و يضمر لي شراً ما و سيعيق ذهابي إلى اليهودي.

بارناردين!ألا تتحدّث؟ تظنّ أنني لا أراك؛ انصرف! أتمنى أن تتركني أمضي في سبيلي.لا تريد؟ إذن سأمضي في طريقي بالقوّة، و كما ترى هناك عصا موجودة لهذا الغرض لأنك تحب ذلك.أوقفني مرّة أخرى!

(يأخذ العصا و يضرب الجثّة)

يدخل باراباس و إيثامور

باراباس: من؟ جاكومو؟! ماذا فعلت؟

الراهب جاكومو: كيف! لقد ضربته قبل أن يضربني.

باراباس: من هذا؟ بارناردين! الآن أخرج! و أسفاه لقد مات!

إيثامور: أجل يا سيدي. إنه ميّت! أنظر كيف سال دماغه على أنفه.

الراهب جاكومو: أيها السيدان الطيبان، لقد قتلته و لكن لا يعرف أحد غيركما. قد أنجو.

باراباس: قد نُشنق أنا و خادمي معك للمشاركة في الجرم.

إيثامور: دعونا نحمله إلى المحكمة.

الراهب جاكومو: باراباس أيها الطيب دعني أذهب.

باراباس: كلا، اعذرني، يجب أن يأخذ القانون مجراه، و يجب أن أدلي بشهادتي لأنني طلبت من بارناردين بإلحاح أن يجعلني مسيحياً، صددته و جلس هو هناك. و الآن و لكي أوفِ بوعدي و أهب ديرك ثروتي و مالي كمااتفقنا مسبقاً مع عزمي على الذهاب إلى ديرك لأذّك بقيت.

إيثامور: بٌاً لهما يا سيدي.هل ستصبح مسيحياً بينما يتحوّل الرهبان إلى شياطين و يقتلون بعضهم بعضاً؟

باراباس: كلا، بسبب هذا النموذج سأبقى يهودياً. لتباركني السماء! ماذا! راهب و قاتل!متى ترى يهودياً يقترف ذنباً كهذا؟

إيثامور: حتى التركي لن يفعل ذلك.

باراباس: غداً المحكمة و سنذهب إليها. تعال يا إيثامور، دعنا نتعاون في أخذه من هنا.

الراهب جاكومو: أيها الوغدان! أنا رجل دين لا تلمسانا.

باراباس: سيلمسك القانون و لكننا سنقودك إليه. و أسفاه! يمكنني أن أبكي على مصيبتك! خذ العصا أيضاً إذ يجب إظهارها، فالقانون يرغب بمعرفة كلِّ التفاصيل.

(يغادرون)

تدخل بيلاميرا و بيليابورزا

بيلاميرا: هل قابلت إيثامور يا بيليابورزا؟

بيليابورزا: نعم قابلته.

بيلاميرا: و هل سلّمته رسالتي؟

بيليابورزا: أجل.

بيلاميرا: و ما رأيك؟ هل سيأتي؟

بيليابورزا: أعتقد ذلك، و لكنني لا أجزم لأنه عندما قرأ الرسالة بدا و كأنه رجل من عالم آخر.

بيلاميرا: لماذا؟

بيليابورزا:لأن خادماً و ضيعاً مثله تحييه سيدة جميلة مثلك على أنه رجل شجاع مثلي.

بيلاميرا: و ماذا قال؟

بيليابورزا: لم يقل أية كلمة حكيمة بل أومأ إلي كمن يقول:"هل الأمر هكذا؟" و تركته و قد دفعه الإرباك برؤية الجانب الحرج من شكلي الفظيع.

بيلاميرا: و أين قابلته؟

بيليابورزا: على أرضي على بُعدأربعين قدماً من المشنقة يتفحّص الترنيمة المقدّسة فأخذتها و أنا أنظر إلى إعدام الراهب الذي حييته بمثل قديم، و تركته لرحمة الجلاّد و بعد الإعدام، ها قد جاء.

يدخل إيثامور

إيثامور:لم أعرف رجلاً يتحمّل موته بصبر كهذا الراهب. كان مستعداً لأن يقفز قبل أن يوضع الحبل حول عنقه، و عندما لبس الجلاد ذيل كمّه أسرع في تلاوة صلواته كمن كان لديه واجب ديني آخر عليه أن يقوم به.حسنٌ، ليذهب أينما يشاء فلن أكون أحد أتباعه في العجلة، و الآن و أناأفكر بذلك متوجّهاً لأحضر الإعدام قابلني رجل بشارب أسود كجناح الغراب و خنجر بمقبض كقلاية التسخين و أعطاني رسالة من السيدة بيلاميرا تحييني فيها بطريقة كما لو أنه يريد أن يلعق حذائي بشفتيه و كانت النتيجة أن آتي إلى منزلها. أتساءل عن السبب لعلها ترى فيّ ما لا أراه في نفسي لأنها كتبت تقول إنها أحبتني منذ أن رأتني، و من لا يرغب أن يبادل هذا الحب؟ هذا هو منزلها و ها هي تأتي، و الآن أليس من الأفضل أن أنصرف؟ فأنا لست أهلاً لأنظر إليها.

بيليابورزا: هذا هو السيّد الذي كتبتِ له.

إيثامور: سيّد! إنه يحتقرني.فأي نُبْل يمكن أن يوجد في رجل تركي فقير و تافه.

سأنصرف. **(جانباً)**

بيلاميرا: أليس هو شابٌ وسيم الوجه يا بيليا؟

إيثامور: مجدداً شاب وسيم؟ **(انباً)** ألم تُحضر رسالة إلى الشاب الوسيم يا سيدي؟

بيليابورزا: نعم فعلت ذلك من هذه السيدة النبيلة المستعدة أن تقف أو تقع تحت إمرتك كما هو حالي أو حال بقية أفراد الأسرة.

بيلاميرا: مع أن تواضع المرأة يمنعني، لكنني لا أتحمّل أكثر من ذلك.أهلاً و سهلاً بك يا حبيبي.

إيثامور: الآن أنا نظيف أم قذر؟ نوع ما على غير عادتي. **(انباً)**

بيلاميرا: إلى أين بهذه السرعة؟

إيثامور: سأذهب لأسرق بعض النقود من سيّدي لأبدو وسيماً **(انباً)** أرجوك اعذريني علي أن أذهب لأشهد تفريغ حمولة إحدى السفن.

بيلاميرا: كيف لك أن تكون بهذه الوقاحة و تتركني هكذا؟

بيليابورزا: و أنت تعرف كم هي تحبك يا سيدي!

إيثامور: كلا، لا أكترث كم تحبني. لو كنت أستطيع أن أحصل على ثروة سيدي من أجلك يا بيلاميرا!

بيليابورزا: يمكنك أن تحصل عليها إن أردت.

إيثامور: لو كانت فوق الأرض لتمكّنت من الحصول عليها، و لكنه يخفيها تحت الأرض كما تفعل طيور الحجل ببيضها تضعه تحت الأرض.

بيليابورزا: و هل من المستحيل إيجاده؟

إيثامور: مستحيل تماماً .

بيلاميرا: ماذا علينا أن نفعل بهذا الوغد الوضيع إذن؟ **(تخاطب بيليابورزا انباً)**

بيليابورزا: دعيني وحدي، و لكن كلميه بلطف. **(يخاطبها جانباً)**

و لكنك تعرف بعض أسرار اليهودي التي سيضرّه كشفُها.

إيثامور: أجل كأن يذهب- كفى!سأجعله يرسل إليّ نصف ثروته و سيُسرّ لأن ينجو أيضاً . سأكتب إليه و سنحصل على المال في الحال.

بيليابورزا: اطلب مائة قطعة ذهبية على الأقل.

إيثامور: مليون قطعة ذهبية **(يكتب)** سيّدي باراباس.-

بيليابورزا: لا تكتب بهذا الخنوع،و لكن اكتب مهدداً .

إيثامور: (يكتب) أيها الغلام باراباس، أرسل إلي مائة قطعة ذهبية.

بيليابورزا: اكتب مائتين على الأقل.

إيثامور: (يكتب) آمرك بإرسال ثلاثمائة قطعة ذهبية مع حامل هذه الرسالة و هذا هو ضمانك. إن لم تفعل فليس أمامي خيار إلا ذلك.

بيليابورزا: قل له إنك ستعترف.

إيثامور: (يكتب) و إلا سأعترف بكلّ شيء- أسرع و عُدْ بسرعة البرق.

بيليابورزا: دعني لوحدي، و سأستخدم معهنفسَ أسلوبه.

(يغادر بيليابورزا ومعه الرسالة)

إيثامور: اشنقه فهو يهوديّ!

بيلاميرا: و الآن يا سيّديإيثامور استلقِ في حضني- أين وصيفاتي؟ جهزوا الوليمة الفاخرة. و أرسلوا إلى التاجر و اطلبوا منه أن يُضِر الحرير. هل يجب لحبيبي إيثامور أن يذهب بهذه الأسمال؟

إيثامور:و اطلبي من الجواهرجي أن يحضر أيضاً .

بيلاميرا: ليس لدي زوج يا حبيبي. سأتزوج بك.

إيثامور: أنا موافق و لكن علينا أن نترك هذه الأرض السخيفة، و نبحر إلى اليونان الجميلة.سأكون أنا الرّبان "جيسون" و أنت "الصوف الذهبي" حيث يترامى السجاد الملوّن فوق المروج و تغطي كروم "باخوس، إله الخمر" العالم حيث الغابات الخضراء. سأكون "أدونيس" و أنت ستكونين ملكة الحبّ التي تحملها المروج و البساتين و الأزقة القرمزية بدلاً من البردي و القصب، و أنت في هذه البساتين بالقرب من إله العالم السفلي فوق الأرض ستعيشين معي و تكونين حبيبتي.

بيلاميرا: إلى أي مكان لن أذهب مع السيد إيثامور؟

يدخل بيليابورزا من جديد

إيثامور: ما الأخبار؟ هلأحضرتَ الذهب؟

بيليابورزا: أجل.

إيثامور: و هل حصلت عليه بسهولة؟ هلسلّمت البقرة حليبها بسهولة؟

بيليابورزا: عندما قرأ الرسالة حدّق و ضرب الأرض بقدمه،و تنحّى جانباً فأخذته من لحيته و نظرتُ إليه هكذا و أخبرته أنه من الأفضل له أن يُرسِل الذهب، ثم ضمّني و عانقني.

إيثامور:بدافع الخوف لا الحبّ.

بيليابورزا:ثمّ كاليهوديّ ضحك عليّاً و قال إنه يحبّني من أجلك، و أخبرني كم كنت خادماً مخلصاً .

إيثامور:كم كان وغداً ليظن ذلك. هذا كيس كبير نوعاً ما، أليس كذلك؟

بيليابورزا: وفي النهاية أعطاني عشرة قطع ذهبية.

(يعطي المال إلى إيثامور)

إيثامور: فقط عشرة؟ لن أترك في حوزتك قرشاً برونزياً . أعطني قطعة ورق سنحصل على مملكة من الذهب لقاء ذلك.

بيليابورزا: اطلب خمسة آلاف قطعة ذهبية.

إيثامور: **(يكتب)** أيها الغلام اليهوديّ إذا كنت تحبّ حياتك أرسلْ إلي خمسة آلاف قطعة ذهبيةو أعطِ حامل الرسالة مائة. – قل له إنني يجب أن أحصل على ذلك.

بيليابورزا: أضمن لسعادتك أن تحصل على ذلك.

إيثامور: و إذا سأل لماذا أطلب كل هذا قل له إنني أكره أن أكتب رسالة بأقل من مائة قطعة ذهبية.

بيليابورزا:ستصبح شاعراً غنياً يا سيدي سأذهب.

(يغادر بالرسالة)

إيثامور: خذي المال و اصرفيه لأجلي.

بيلاميرا: أنا لا أقيم وزناً للمال بل لك أنت. هكذا تقيّم بيلاميرا الذهب **(ترميه بعيداً)** و هكذا تقيّمك **(تقبّله)**

إيثامور: قبلة أخرى!لقد مزّقت شفتيّ. يا للعين التي ترمقني بها! شعُ كالنجم.
(جانباً)

بيلاميرا: تعال يا حبيبي الغالي! دعنا ندخل و ننام.

إيثامور: أوه، ليت هذه الليلة عشرة آلاف ليلة لنمنا سبع سنين قبل أن نستيقظ.

بيلاميرا: تعال أيها العاشق المتحذلق. دعنا نأكل ثم ننام.

(يغادران)

يدخل باراباس و هو يقرأ الرسالة

باراباس:*باراباس أرسل إليّ ثلاثمائة قطعة ذهبية*- باراباس من دون ألقاب! أوه، تلك المومس الشريرة! لم يكن يجرؤ على أن يناديني باراباس. ***و إلا سأعترف*** اجل هكذا يقول، و لكن لو أمسك به لاقتلعت أمعاءه. أرذلَ خادماً قذراً ثرثاراً وقحاً ، فعندما يتكلّم يسحب لحيته المقرفةو يلفّها مرتين أو ثلاثة مرات حول أذنه، و له وجه كأنه حجرٌ لشحذ سيوف الفرسان، و يداه مبتورتان و بعض أصابعه مقطوعة كلياً و عندما يتكلم كأنه خنزير يقبع و يشبه الغشّاش المخادغ. يا له من محتال تماماً كزوج مائة مومس،و عليّ أن أرسل معه ثلاثمائة قطعة ذهبية.حسنٌ ،أملي ألا يبقَ هنا طويلا و عندما يأتي. أوه ها قد جاء!

يدخل بيليابورزا

بيليابورزا: أيها اليهوديّ! يجب أن تعطيني ذهباً إضافيّاً .

باراباس: لماذا؟ هل هذه قصّة من ابتكارك؟

بيليابورزا: كلا، و لكن ثلاثمائة لن تقضي حاجته.

باراباس: لن تقضي حاجته يا سيدي!

بيليابورزا: كلا، لذلك يجب أن تعطيني خمسمائة أخرى.

باراباس: أفضّل أن-

بيليابورزا: أوه، كلمات جميلة يا سيدي، و أنت أفضل من يصوغها! انظر هذه رسالته. **(يعطيه الرسالة)**

باراباس: لماذا لا يأتي هو بدلاً من إرسالك؟ أرجوك اطلب منه أن يأتي و يأخذ المال. أمّا ما كتب لأجلك ستحصل عليه في الحال.

بيليابورزا: أجل-و البقية و إلاّ -

باراباس: عليّ أن أتخلّص من هذا الوغد!**(انبأ)** أرجوك تناول العشاء معي و ستموت مسموماً من كل أعماق قلبي. **(انبأ)**

بيليابورزا: كلا، حباً في الله، أعطني المال!

باراباس: لا أستطيع فقد أضعت المفاتيح.

بيليابورزا: أوه، إن كان هذا صحيحً يمكنني كسر أقفالك.

باراباس: أو تسلّق إلى نافذة غرفة الحسابات. تعرف ما أقصد.

بيليابورزا: أعرف بما فيه الكفاية لذلك لا تحدّثني عن غرفة حساباتك أو الذهب! أو ليكن في علمك أيها اليهودي أنه بإمكاني شنقك.

باراباس: لقد خانني **(انبأ)**

لستُ غاضباً من مبلغ خمسمائة قطعة ذهبية،و لكن ما يزعجني و يهزّني هو أنه يعلم أنني أحبّه كما أحبُّ نفسي. لماذا يا سيدي تكتب بهذه الوقاحة المتعالية فأنت تعلم أنّه لا ولد لديّ، فلمن سأترك كل هذه الثروة إلا لإيثامور؟

بيليابورزا: هذا كلام كثير من دون مال. أعطني المال!

باراباس: امدحني لديه بكل تواضع يا سيّدي، و لا تذكرني أمام سيدتك الطيبة.

بيليابورزا: تكلّم، هل ستعطيني المال؟

باراباس: تفضل يا سيّدي. **(يعطيه المال)** أوه، كيف لي أن أفارق كل هذا الذهب! **(انبأ)** تفضّل خذ بنية حسنة يا صاحبي –كنيتي و أنا أراك مشنوقاً **(جانبا)** أوه، الحبّ يوقف روحي! لم يحبْ سيّد خادمه كما أحببت إيثامور.

بيليابورزا: أعرف ذلك يا سيّدي.

باراباس: عفواً يا سيّدي، متى سأراك في منزلي؟

بيليابورزا: قريباً كي أتخلّص منك يا سيدي. إلى اللقاء . **(يغادر)**

باراباس: كلا، بل أنا من سيتخلّص منك أيها الوغد إذا أتيت!هل تعذّب أي يهودي مثلما أتعذّب؟ بأن يأتي وغد قذر و رث يغتصب مني ثلاثمائة قطعة ذهبية و من ثم خمسمائة أخريات!حسنٌ، علي أن أجد طريقة كي أتخلّص منهم جميعاً و بسرعة

لأنه مـ نذالته سيبوح بكل شيء، و سأموت إن فعل ذلك. خطرت لي فكرة سأذهب متنكراً و أرى الخادم، و أرى كيف يستمتع بذهبي! **(يغادر)**

تدخل بيلاميرا و إيثامور و بيليابورزا

بيلاميرا: بصحّتك يا حبيبي لذلك اشربها كلّها.

إيثامور: هل تقولين لي ذلك؟ أحاول فيها! و هل تسمعين؟ **(يهمس في أذنها)**

بيلاميرا: هيا افعل ذلك.

إيثامور:بشرط أن أشربها كلّهابصحّتك.

بيلاميرا: كلا، إما كلها أو لا شيء.

إيثامور:تفضّلي. إذا كنتِ تحبينني فلا تتركي منها أية قطرة.

بيلاميرا: أحبّك! املء لي ثلاثة كؤوس.

إيثامور: ثلاث و ستمائة: سأشرب نخبك.

بيليابورزا: كلام كالأوغاد كفارس في الجيش.

إيثامور: أيها الإسباني النبيل! الرجل رجل وعليه أن يشرب كما يفعل الرجال.

بيلاميرا: و الآن ماذا عن اليهودي؟

إيثامور: ها! اليهوديهو الأفضل لأنّه يرسل المال إليّ.

بيليابورزا: و ماذا ستفعل إن لم يرسل إليك أي مال؟

إيثامور: لا أفعل شيئاً و لكنني أعرف ما أعرف فهو قاتل.

بيلاميرا:لم يخطر ببالي أنّ لديه رجل بهذه الشجاعة.

إيثامور: هل تعرفين ماتياس و ابن الحاكم؟ أنا و هو قتلناهما مع أننا لم نلمسهما.

بيليابورزا: يا له من عمل شجاع!

إيثامور: و أنا حملت القِدْر الذي سمّم الراهباتـه و أنا و هو يداً بيد خنقنا الراهب بقوّة.

بيلاميرا: لوحدكما!

إيثامور: نحن الاثنان،و لم يكتشف ذلك أحد و لن أخبر أحداً .

بيليابورزا: سأخبر الحاكم بذلك. **(يخاطب بيلاميرا جانباً)**

بيلاميرا:هذا مناسب جداً ، و لكن دعنا نحصل على مزيد من الذهب.- **(تخاطب بيليابورزا جانباً)**تعال يا إيثامور اللطيف لأضمّكَ في حضني.

إيثامور:أحبيني قليلاً ،حبيني طويلاً . دعي الموسيقى تعزف و أنا أرتمي في حضنك الدافئ.

يدخل باراباس متنكراً بزي عازف موسيقى فرنسي و معه آلة العود و باقة زهر صغيرة في قبعته

بيلاميرا: عازف فرنسي! تعال و أسمعنا مهارتك.

باراباس:عليّ أن أضبط عودي أولاً من أجل جودة الصوت.

إيثامور: هل تشرب أيها الفرنسي؟بصحّتك و اللعنة على هذا السكّير!

باراباس: شكراً لك يا سيدي.

بيلاميرا: أرجوك يا بيليابورزا اطلب من العازف أن يعطيني باقة الزهر في قبعته تلك.

بيليابورزا: أيها الغلام عليك أن تعطي سيدتي هذه الباقة.

باراباس: أمرك مطاع يا سيدتي. **(يعطيها الباقة)**

بيلاميرا: كم هي عبقة رائحة هذه الأزهار!

إيثامور:كرائحة نَسلِكِ يا حبيبتي. لا يوجد زهر بنفسج مثلها.

بيليابورزا: باً !أظنّ أن رائحتها نتنة مثلرائحة الخُبّاز.

باراباس:و هكذا انتقمت منهم جميعاً ، فالرائحة كانت هي الموت حيث وضعت فيها السمّ. **(انباً)**

إيثامور: اعزف أيها العازف،و إلا قطعت أمعاء قطّتك إرباً ،إرباً .

باراباس: معذرة، و لكن اللحن غير جاهز بعد. الآن كل شيء جاهز.

إيثامور:أعطه قطعة ذهب، و زدني خمراً .

بيليابورزا: إليك هاتين القطعتين، اعزف. **(يعطيه المال)**

باراباس: كم هو كريم هذا الوغد في إعطائي ذهبي! **(جانباً ثم يعزف)**

بيليابورزا:أظن أن عزفه جميل جداً .

باراباس:و أنت كنتَ كذلك عندما سرقتَ ذهبي! **(انباً)**

بيليابورزا: كم هو سريع في الركض!

باراباس: أنت ركضت أسرع مني عندما رميت ذهبي خارج نافذتي. **(انباً)**

بيلاميرا:هل قضيتَ فترة طويلة في مالطا؟

باراباس: شهران أو ثلاثة أو أربعة يا سيدتي.

إيثامور: هل تعرف يهودياً اسمه باراباس؟

باراباس:أعرفه جيداً يا سيّدي. ألست خادمه؟

بيليابورزا: خادمه!

إيثامور: أنا احتقر هذا الفلاح أخبره ذلك.

باراباس:يعرف ذلك مسبقاً . **(انباً)**

إيثامور: من الغريب أن ذلك اليهودي يقتات على الجراد المخلل و الفطر المتبّل.

باراباس: أي خادم هذا! فالحاكم لا يأكل ما آكل. **(انباً)**

إيثامور:لم يلبس قميصاً نظيفاً منذ ختانه.

باراباس: أيها النذل!أبدّل ملابسي مرّتين في اليوم. **(انباً)**

إيثامور: القبعة التي يرتديها تركها الخائن تحت الشجرة عندما شنق نفسه.

باراباس: أرسلها إلي "شام العظيم" كهدية من كمبوديا. **(انباً)**

بيليابورزا: يا له من خادم حقير! إلى أين أيها العازف؟

باراباس: اعذرني يا سيدي، فأنا لست على ما يرام.

بيليابورزا: وداعاً أيها العازف **(يغادر باراباس)**. رسالة أخرى إلى اليهودي.

بيلاميرا: أرجوك يا حبيبي رسالة أخرى، و اكتبها الآن.

إيثامور: كلا، سأرسل رسالة شفهية الآن. اطلب منه أن يسلّمك ألف قطعة ذهبية بنفس الطريقة التي أحبت بها الراهبات الرزّ و نام بها الراهب بارناردين في ملابسه. كلّهم سيموتون.

بيليابورزا: دعني أقوم بها لوحدي. الآن فهمت قصدك.

إيثامور: ما اقصد له معنى. تعالي إلى الداخل فتدمير رجل يهودي هو إحسان و ليس خطيئة.

(يغادرون)

الفصل الخامس

يدخل فيرنيز و الفرسان و مارتن ديل بوسكو و الضباط

فيرنيز:و الآن أيها السادة جهز ّوا أنفسكم بالأسلحةو تأكدوا أن مالطا محصّنة جيداً كمايتوجّب عليكم أن تكونوا رابطيّ الجأش لأن كاليماث سيفتح المدينة أو يموت أمام جدرانها فقد تسكّع فيها طويلاً .

الفارس الأو ّل:و سيموت لأننا لن نستسلم أبداً .

تدخل بيلاميرا و بيليابورزا

بيلاميرا: أوه، خذانا إلى الحاكم.

فيرنيز: أبعدوها فهي مومس!

بيلاميرا: مهما أكن أيها الحاكم اسمع حديثي، فقد جئتك بأخبار عمن قتل ابنك. لم يكن الفاعل ماتياس بل اليهوديّ .

بيليابورزا: الذي، بالإضافة إلى قتل هذين السيّدين، سمّم ابنته و الراهبات، و خنق راهباً ولا أدري أي شر ّ يضمر بعد.

فيرنيز: هل عندكما دليل على ذلك.-

بيلاميرا:دليل قويّ يا مولاي فخادمه الآن في مخدعي، فهو أداته و سيعترف بكلّ شيء.

فيرنيز: اذهبوا و أحضروه.لطالما خفت من ذلك اليهوديّ . **(يغادر الضباط)**

يدخل الفرسان من جديد و معهم باراباس و إيثامور

باراباس: سأذهب من تلقاء نفسي أيها الكلاب لا تجرونني هكذا.

إيثامور:و لا أنا أيضاً . لا أستطيع أن أسبقك أيها الفارس. آه يا بطني!

باراباس:لقد تأكدت من وَ ْ ِ حوالي غرامين من المسحوق السام. أي خادم ملعون هذا! **(انباً)**

فيرنيز:أضرموا النيران و حّموا الحديد و أحضروا آلة التعذيب.

الفارس الأو ّل: كلا، يا سيدي انتظر قد يعترف.

باراباس: أعترف! ما قصدكم أيها السادة؟ من سيعترف؟

فيرنيز: أنت و خادمك التركي. فأنتما قتلتما ولدي.

إيثامور: أعترف أنني مذنب يا مولاي. كلٌّ من ابنك و ماتياس خطب أبيغيل و هو أي اليهودي زوّر التحدي.

باراباس: و من أوصل رسالة التحدي؟

إيثامور: أنا أوصلتها أعترف بذلك، و لكن من كتبها؟ حتى أنه خنق الراهب بارناردين و سمّم الراهبات و ابنته.

فيرنيز:خذوه بعيداً ! هذا المشهد هو موت بالنسبة إليّ.

باراباس: لماذا يا رجال مالطا؟ اسمعوا كلامي. هذه مومس و هذا سارق و هذا خادمي دعوني أُحاكَم فلا أحد يمكنه أن يحكم مسبقاً على حياتي.

فيرنيز: مرة أخرى أقول لكم أبعدوه! ستُحاكم!

باراباس: أيها الشياطين افعلوا أسوأ ما عندكم! سأعيش رغم أنوفكم. و لأنهم وشوا بي فليكن جزاؤهم الموت! أتمنى أن تعمل الأزهار المُسمّمة فعلها بسرعة. **(جانباً)**

(يغادر الضباط مع باراباس و إيثامور و بيلاميرا و بيليابورزا)

تدخل كاثرين

كاثرين: هل اليهوديّ من قتل ابني ماتياس؟ فيرنيز، ابنك من قتل ولدي.

فيرنيز: تحلِّ بالصبر يا سيدتي الفاضلة فاليهوديّ من زوّر التحدّي الخطير بينهما و دفعهما للقتال.

كاثرين: أين اليهوديّ؟ أين ذلك المجرم؟

فيرنيز: في السجن إلى أن يصدر الحكم في حقّه.

يدخل الضابط الأوّل مرّة أخرى

الضابط الأوّل: مولاي، المومس و قوّادها و الخادم التركي و باراباس ماتوا.

فيرنيز: ماتوا!

الضابط الأوّل: ماتوا يا مولاي، و هاهم يُحضرون هذه الجثّة.

مارتن ديل بوسكو: موته المفاجئ غريبٌ جداً .

يدخل الضباط مرة أخرى يحملون باراباس على أنه ميت

فيرنيز: لا تتعجّب من ذلك يا سيدي فالله عادل، فقد كان موتهم كحياتهم. لا تفكّر بهم. بما أنهم ماتوا فلندفنهم. أما بالنسبة لجثة اليهوديّ ارموها من فوق الجدران لتصبح فريسة لنسور الجيف و الحيوانات الضارية. و الآن اذهبوا و حصّنوا المدينة.

(يخرج الضبّاط تاركين باراباس مستلقياً على الأرض)

باراباس: **(ينهض)** جيداً تماماً أحسنت أيها الشراب المنوّم! سأنتقم من هذه المدينة الملعونة لأن كاليماث سيدخلها بواسطتي و سأساعده في ذبح أولادهم و زوجاتهم و حرق الكنائس و تدمير منازلهم، و سأستعيد ممتلكاتي و أراضيّ. أتمنى رؤية الكما خادماً يجدّف في سفينة و يُجْلَد حتى الموت.

يدخل كاليماث و الباشاوات و الأتراك

كاليماث: من لدينا هنا؟ جاسوس!

باراباس: أجل يا مولاي. يمكنني أن أتجسس على المكان الذي تنوي دخوله لتفاجيء المدينة. اسمي باراباس و أنا يهودي.

كاليماث: هل أنت اليهوديّ الذي سمعنا أن ممتلكاته بيعت لجمع مال الجزية؟

باراباس: أنا في عينه يا مولاي، و منذ ذلك الوقت و حتى الآن اشتروا عبداً هو خادمي لاتّهامي بألف جريمة. كنت سجيناً لكنني أفلت من أيديهم.

كاليماث: هل هربت من السجن؟

باراباس: كلا، كلا فقد شربت الأفيون مع عصير الباذنجان و عندما نمت ظنّوا أنني ميّت، و رموني من فوق الجدران، و إلا كيف أصبحت هنا و في خدمتك.

كاليماث: فعلت ذلك بشجاعة حقاً ، و لكن قل لي يا باراباس هل يمكنك أن تجعل مالطا لنا؟

باراباس: لا تخف يا مولاي فهنا أمام الخندق الصخرُ فارغ، و قد حُفِر عمداً لشق ممر للمياه الجارية و قنوات عامة للمدينة، و أثناء هجومك على الجدران سأقود ألف

جندي من جنودك عبر القوس، و أظهر معهم في وسط المدينة، و نفتح البوابات لتدخل، و بهذه الطريقة تصبح المدينة في قبضتك.

كاليماث: إن كان هذا صحيحاً سأعيّنك حاكماً .

باراباس: و إن لم يكن صحيحاً اقتلني.

كاليماث: أنت من ختم قدره بيده. اهجموا في الحال. **(يغادرون)**

صرخات الحرب من الداخل و يدخل كاليماث و الباشاوات و الأتراك و باراباس مع فيرنيز و الفرسان وهم أسرى

كاليماث: و الآن انكسر شموخكم أيها المسيحيون الأسرى فانحنوا طلباً للرحمة أمام عدوكم الفاتح، و الآن أين الأمل الذي كان لديكم في الأسبان المتغطرسين؟ تكلّم يا فيرنيز ألم يكن خيراًلك أن تحفظ وعدك على أن تُباعَت على هذا النحو؟

فيرنيز: ما عساي أقول، فنحن أسرى و علينا أن نخضع.

كاليماث: أجل أيها الأوغاد عليكم أن تخضعوا و تحت النير التركي ستتحمّلون وزر سخطنا و تئنون، و أنت يا باراباس - كما وعدناك -تستحق أن تكون حاكماً ، لذلك تصرّف بهم كيفما تشاء.

باراباس: شكراً لك يا مولاي.

فيرنيز: أيها اليوم المشئوم كيف جعلت مني أقع بين يدي خائن و يهودي كافر! أيّ بؤس يمكن للسماء أن تنزله أكثر من ذلك؟

كاليماث: هذا هو أمرنا و سنعطيك يا باراباس نخبة حرّاسنا لحراستك. عاملهم معاملة جيدة كما عاملناك،و الآن أيها الباشاوات الشجعان تعالوا نتمشّى في شوارع المدينة المدمّرة و نشاهد الدمار الذي خلّفناه. وداعاً أيها اليهودي الشجاع،وداعاً يا باراباس العظيم!

باراباس: ليرافقك الحظ الطيّب يا كاليماث!

(يغادر كاليماث و الباشاوات)

و الآن و كتمهيد لسلامتي عليّ أن أضع الحاكم و هؤلاء القادة و مرافقيه و حلفاءه في السجن.

فيرنيز: أيها الوغد ! سينتقم الله منك!

باراباس: أخرجوه! لا تدعوه يضايقني أكثر من ذلك.

(يغادر الجنود الأتراك ومعهم فيرنيز و الفرسان)

لم أحصل لنفسي على مكان بسيط أو سلطة صغيرةبهذه الخطّة، لكنني الآن حاكم مالطا. صحيح، و لكن مالطا تكرهني و في كرهها يكمن الخطر على حياتي، و ما يزيدك كرهاً يا باراباس المسكين هو أنك الحاكم الآن. متى سصبح حياتك تحت تصرّفهم؟ كلا يا باراباس يجب أن تأخذ ذلك بعين الاعتبار، و بما أنك حصلت على السلطة ظلماً عليك أن تحافظ عليها بشجاعة و سياسة ثابتة، و على الأقل لا تخسرها دون فائدة، لأنّ الذي يعيش في السلطة دون أصدقاء أو مال كثير يعيش كالحمار الذي يتحدّث عنه "أيسوب" فهو يتعب بحمل الخبز و الخمر و يوقعهم ليأكل شوك الحقول، و لكن باراباس سيكون أكثر ذكاءً و سيبدأ في الحال فالفرصة تقوى إن مضت فلا تدع الفرصة تفلت منك، فمن يبحث عن الكثير عليه أن يخاف من التأخير و لكنه لن يمسك بها. نَ ْ هناك؟

يدخل فيرنيز

فيرنيز: مولاي؟

باراباس: أجل مولاك. ليتعلّم الخدم ذلك. و الآن أيها الحاكم قف هناك، و انتظر في الداخل. **(يغادر الحرس)** هذا هو سبب إرسالي في طلبك فأنت تلاحظ أن حياتك و سعادة مالطا تحت إمرتي، و يمكن لباراباس إن شاء أن يستغني نكما معاً. و الآن قل لي أيها الحاكم و بصراحة أيضا ماذا سيحل بكما في رأيك؟

فيرنيز: إليك رأي: بما أن الأمور تحت إمرتك لا أرى أي منطق سوى دمار مالطا، و لا أمل منك إلا وحشية مفرطة فأنا لا أخاف الموت و لن أتملقك.

باراباس: كلام جميل أيها الحاكم، و لكنه لا ينمّ عن غضب عارم، فحياتك لا تفيدني شيئاً و مع ذلك أنت حيّ و ستعيش من أجلي، و أما بخصوص دمار مالطا أفلا تظن أن خطة باراباس كانت ضحلة ليجرّد نفسه من هذا المكان؟ و بما أنني و كما قلت أملك ثروة في جزيرة مالطا، و ما زلت ناجحاً في هذه المدينة، و أخيراً أصبحت حاكمكم سترون بأنفسكم أنني لن أنسَ هذا الأمر لأنني كالصديق لا يُعرَف إلا وقت الضيق سأشفي مالطا المستعصية من العلاج الآن.

فيرنيز: هل سيعيد باراباس خسارة مالطا؟ هل سيصبح باراباس طيباً مع المسيحيين؟

باراباس: ماذا ستعطيني أيها الحاكم إذا حللتُ قيود العبودية التي فرضها الأتراك عليك و على بلدك؟ ماذا ستعطيني إذا سلّمتك حياة كاليماث، و فاجأت جنوده و قتلتهم خارج المدينة حتى آخر واحد منهم بالنار؟ ماذا تعطي من يفعل هذا؟

فيرنيز: افعل ما تدّعي به و عاملنا كأننا أعزّاء عليك، و سأرسل بين المواطنين برسائلي الخاصة لأجمع لك مبالغ طائلة من المال تعويضاً لك، بل وأكثر من ذلك سأبقيك حاكماً علينا.

باراباس: كلا، افعل ذلك أنت بنفسك يا فيرنيز و سأحررك. أيها الحاكم إليك التفاصيل. اسكعي و امشِ في شوارع المدينة و زُر أصدقاءك و لا ترسل إليهم رسائل. اذهب إليهم بنفسك و لنرَ كم من المال ستجمع. إليك يدي التي ستحرر مالطا كما خططنا. سأدعو الشاب سليم كاليماث إلى وليمة عظيمة بحضورك وستقوم بخطّة واحدة سأخبرك بها، و لن يلحق بك أي أذى و سأضمن حريّة مالطا إلى الأبد.

فيرنيز: إليك يدي أيضاً، صدّقني يا باراباس، سأحضر و سأفعل ما تشاء. متى الموعد؟

باراباس: في الحال أيها الحاكم لأن كاليماث سيستأذن و يبحر عائداً إلى تركيا بعد أن يكون قداطّلع على المدينة.

فيرنيز: باراباس، إذن سأذهب و أعود إليك في المساء و معي المال.

باراباس: اذهب و لا تخذلني. إلى اللقاء الآن يا فيرنيز. **(يغادر فيرنيز)** و هكذا أدير تجارتي بسرعة كبيرة جداً، و مع أنني لا أحبّ أيّاً من الطرفين سأعيش معهما مستفيداً من سياستي، و سيصبح صديقي من يأتيني منه النفع الأكبر، فهذه هي الحياة التي اعتدنا أن نحياها نحن اليهود، و نعتقد أن المسيحيين يفعلون مثلنا. حسنٌ، بالنسبة الآن لإنجاز هذه الخطّة، أولاً مفاجئة جنود سليم الكبير و من ثم تجهيز الوليمة، يجب القيام بهما في آن واحد. فسياستي تمقت أن يمنعني أمر طارئ من بلوغ هدفي السرّي. أعلم و سيشهدون على ذلك بحياتهم.

(يخرج)

يدخل كاليماث و الباشاوات

كاليماث: و هكذا تفحّصنا المدينة و رأينا فتحنا و الدمار الذي سنصلحه قريباً و الذي خلّفته قذائف بارجاتنا من جرّاء دخولنا، و الآن أرى الموقف وأرى كم هي آمنة المدينة التي يحيطها البحر الأبيض المتوسّطو المحصّنة بالخنادق القويّة مع بعض

الجزر الثانوية الأخرى قبالة كالابريا تدعمها صقلية (حيث حكم إله الخمر دايونيسيوس الصقلّي) ويُشرِف عليها برجان عاليان. أتعجّب كيف فتحناها بهذه السهولة.

يدخل رسول

الرسول: أحضرتُ رسالة من باراباس حاكم مالطا إلى كاليماث العظيم. عندما سمع أن جلالتكم ستركبون البحر عائدين إلى تركيا، الإمبراطورية العثمانية، فهو يرجو بكل تواضع من جلالتكم أن تتفضّلوا برؤية قصره المتواضع لتناول وليمةً معه قبل مغادرة الجزيرة.

كاليماث: وليمة معه في قصره! أخشى أيها الرسول أن يكون إطعامُ حاشيتي في مدينة مزّقتها الحرب مؤخّراً مكلفاً و مزعجاً جداً، مع أنني أرغب بزيارة باراباس بكل سرور لأنّه يستحق منّا كلَّ تقدير.

الرسول: يقول لك الحاكم: يا سليم عندي في مخزني لؤلؤة كبيرةو ثمينة جداً و شرقية بكل معنى الكلمة بحيث لو قُيّمت تقييماً عادلاً لكان سعرها يكفي استضافة سليم و كلّ جنوده لمدّة شهر، لذلك يطلب من سموّكم وبكل تواضع ألا ترحلوا قبل أن يحتفل بكم.

كاليماث: لا يمكنني أن أطعم جنودي في مالطا إلا إذا وُضِعت الطاولات في الشوارع.

الرسول: اعلم يا سليم أنه يوجد بيت للراهبين كأنه بيت كبير خارجي للمدينة حيث سيقيم الوليمة، و لكن أنت ستجلس في بيته مع كل باشاواتك و أتباعك.

كاليماث: حسنٌ، قل للحاكم إننا قبلنا دعوته، و سنتناول وليمة العشاء الصيفي معه.

الرسول: سأفعل يا مولاي.

(يغادر)

كاليماث: و الآن أيها الباشاوات الأفاضل دعونا نذهب إلى خيمنا، و نفكّر كيف نشرّف أنفسنا بالاحتفال بعزيمة حاكمنا الكبيرة.

(يغادرون)

يدخل فيرنيز و الفرسان و مارتن ديل بوسكو

فيرنيز: دعوني أقودكم في هذا الأمر يا أبناء بلدي توخّوا الحذر و لا تهجموا حتى تسمعوا إطلاق مدفع كبير من الذي يحمل الفتيل بعد أن يشعله، ثم انطلقوا و تعالوا لنجدتي لأنني قد أكون في ورطة أو تكونون قد تحررتم من العبودية.

الفارس الأوّل: أفضل لنا من العيش كعبيد أتراك. لماذا لا نغامر؟

فيرنيز: إذن اتفقنا على ذلك. انصرفوا.

الفرسان: وداعاً أيها الحاكم الشجاع.

(يغادر من الجانب الأوّل الفرسان و مارتن ديل بوسكو و من الجانب الآخر يغادر فيرنيز)

يدخل من فوق باراباس و معه مطرقة و منهمك مع بعض النجّارين

باراباس: كيف حال الحبال؟ و هل هذه المفاصل ثابتة؟ ثابتة قوّة؟ هل كل الرافعات و البكرات متينة؟

النجّار الأوّل: كلها ثابتة.

باراباس: لا تتركوا شيئاً غير مثبّت جيداً. يجب أن يكون كل شيء كما خططت له. يمكنني ملاحظة فنّكم حقّاً. تفضلوا أيها النجارون اقتسموا تلك القطعة النقدية الذهبية بينكم. **(يعطيهم المال)** اذهبوا و اشربوا طاسات من خمر العنب في القبو الذي يحوي كلّ أنواع الخمور.

النجّار الأوّل: سنذهب يا سيدي و شكراً لك.

(يغادر النجارون)

باراباس: وإنْ أحببتم طعمها اشربوا حتى الثمالة و موتوا لأنني إن عشت أنا فليمت العالم كلّه! و الآن يا سليم كاليماث أعطني جواباً بأنك ستأتي و سأكتفي.

يدخل الرسول

و الآن أيها الغلام، هل سيأتي؟

الرسول: سيأتي، و أمر كلّ رجاله بأن يأتوا إلى الشاطئ و يمشوا في شوارع مالطا بحيث تقدّم لهم الطعام في قصرك.

باراباس: الآن الأمور كلّها كما أتمنى، و لا ينقص إلا مال الحاكم وها أنا أراه يحضره.

يدخل فيرنيز

و الآن أيها الحاكم هل أحضرت المال؟

فيرنيز: بموافقة سريعة مائة ألف جنيه.

باراباس: هل قلت جنيه، أيها الحاكم؟ بما أنه ليس أكثر من ذلك سأقنع نفسي به. كلا، احتفظ به لأنني إن لم أوفِ بوعدي لا تثق بي.أيها الحاكم إليك خطّتي. أولاً، بالنسبة إلى جيشه لقد أرسلهم أمامه و دخلوا دير الرهبان و تحت الدير مناطق قتال سوداء و مدافع و براميل مليئة بالبارود و سندمّر جيشه على حين غرّة و ستتحطّم كل الحجارة على رؤوسهم بحيث لن يفرّ أحدٌ منهم على قيد الحياة. أما بالنسبة إلى كاليماث و مرافقيه، فقد صنعت هنا معرضاً فاخر إذا قطع أرضه هذا الحبل سينهار كلياً و سيقع في حفرة عميقة لا يمكن ردعها. خذ امسك السكين و عندما تراه يأتي **(يرمي إليه السكين)** مع باشاواته ستوضع قطعة لتحذيرك بسرعة و تنطلق من البرج لإعلامك متى ستقطع الحبل و ستحرق البيت. ما رأيك أليس هذا عملاً شجاعاً؟

فيرنيز: أوه ممتاز! تفضّل امسك يا باراباس أثق بوعدك. إليك ما وعدتك به.

باراباس: كلا أيها الحاكم سأقنعك أولاً فلن تعيش و أنت تشك في أيّ شيء.ابقَ قريباً فها هم قد جاؤوا.

(يتراجع فيرنيز)

أليست هذه تجارة ملكية شراء المدن بالخيانة و بيعها بالخداع؟ و الآن أخبروني أيها المادّيّون يا من تعيشون تحت الشمس هل هناك أكبر من هذا الزيف؟

يدخل كاليماث و الباشاوات

كاليماث: تعالوا يا رفاقي الباشاوات انظروا كم هو باراباس مشغول في الأعلى كي يمتعنا بمعرضه. دعونا نحييه. السلام عليك يا باراباس!

باراباس: أهلاً بك يا كاليماث العظيم!

فيرنيز: كم يهزأ به هذا الخادم. **(انباً)**

باراباس: هل يسرّك يا سليم كاليماث الجبّار أن تصعد درجنا المتواضع؟

كاليماث: أجل، يا باراباس. تعالوا أيها الباشاوات اصعدوا.

فيرنيز: (يتقدّم) توقّف يا كاليماث لأنني سأظهر لك لباقة أكبر مما عرضها عليك باراباس.

أحد الفرسان: (من الداخل) أرسل الإشارة هناك!(تنطلق الإشارة و يقطع فيرنيز الحبل و تنهار أرض المعرض و يسقط باراباس في قدر موضوع في الحفرة.)

يدخل الفرسان و مارتن ديل بوسكو

كاليماث: ما هذا؟ ماذا يعني هذا؟

باراباس: النجدة، ساعدوني أيها المسيحيون، النجدة!

فيرنيز: أنظر يا كاليماث تم اختراع هذا من أجلك.

كاليماث: خيانة، خيانة! اهربوا أيها الباشاوات!

فيرنيز: كلا يا سليم لا تهربوا. شاهدوا نهايته أولاً، ثمّ اهربوا إن استطعتم!

باراباس: أوه ساعدني يا سليم! ساعدوني أيها المسيحيّون! ساعدني أيها الحاكم لماذا تقفون كلّكم بلا رحمة؟

فيرنيز: هل ينبغي لي أن أشفق عليك يا باراباس الملعون أم أشفق على أوجاعك، أيها اليهودي الوضيع؟ كلا، سأشهد الانتقام من خيانتك و أتمنى لو أنك سلكت غير هذا الطريق.

باراباس: إذن لن تساعدني؟

فيرنيز: كلا أيها الوغد، كلا!

باراباس: إذن أيها الأوغاد أعلم أنه لا يمكنكم مساعدتي الآن، لذلك الفظْ أنفاسك الأخيرة يا باراباس، و في غضب عذابك اطمح أن تنهي حياتك بثبات و عزم. ليكن في علمك أيها الحاكم أنني أنا من قتل ابنك، و أنا من صاغ التحدي الذي دفعهما للنزال، و اعلم يا كاليماث أنني أنا من خطط للإطاحة بك، و لو أنني نجوت من هذه الخطّة لكنت أوقعت الفوضى بكم جميعاً أيّها الكلاب المسيحيون و الأتراك الكفرة! و لكن بدأت الآن شدّة الحر تلدغني بوخزات لا يمكن احتمالها. انتهي يا حياتي! و حلّقي يا روحي! و أنت أيها اللسان العن حتى تكتفي و مُت! **(يموت)**

كاليماث: أخبروني أيها المسيحيّون ماذا يعني هذا؟

فيرنيز:هذه الخطّة التي وضعها للإيقاع بحياتك. و الآن يا سليم لاحظ أعمال اليهود الملعونة فقد صمم على التخلّص منك، و لكنني اخترت أن أنقذ حياتك.

كاليماث: هل كانت الخطة في الوليمة التي أعدّها لنا؟ لنذهب من هنا، و إلا لحق بنا شرّ آخر.

فيرنيز: كلا يا سليم انتظر. بما انّك عندنا هنا لن ندعك ترحل بهذه السرعة. علاوة على ذلك، لو تركناك تذهب فالأمر سواء لأنّك مع قواربك لا يمكنك الرحيل من هنا من دون رجال جدد لتجهيز و تأثيث القوارب.

كاليماث: هراء، أيها الحاكم لا تكترث لذلك فكلّ رجالي هم على متن القوارب ينتظرون عودتي إلى هناك الآن.

فيرنيز: لماذا؟ ألم تسمع انطلاق صوت البوق؟

كاليماث: أجل و ماذا في ذلك؟

فيرنيز: إذن انفجر المنزل و ذُبح كل جنودك.

كاليماث: أوه، يا لها من خيانة وحشية!

فيرنيز: هذه لباقة اليهوديّ لأنّه بخيانته تسبب بسقوطك و بخيانته سلّمك إلينا، و ليكن في علمك أنك لن تغادر قبل أن يعوّض أبوك عن الدمار الذي أوقعه في مالطا، فإما تصبح مالطا حرّة أو لن يعود سليم كاليماث إلى تركيا أبداً.

كاليماث: كلا، من الأفضل أن تدعوني أذهب إلى تركيا شخصياً ،و أتوسّط لإبرام معاهدة سلام معكم فبقائي هنا لن ينفعكم.

فيرنيز: اقنع يا كاليماث فأنت ستبقى هنا، و تعيش سجيناً في مالطا حتى و إن جاء العالم كلّه لنجدتك. سنحرسك الآن، و خيرٌ لهم أن يشربوا ماء المحيط كلّه على أن يغزوا مالطا أو يهددوننا، لذلك انصرفوا! و دعونا نعطي الفضل لله و ليس للقدر أو للحظ.

(يخرج)